

افغانستان

بركهان

ترکات « الاتحاد السوفيتي »



محموديشاكر

أطهر الشعوب الإسلامية
في آسيا

١١

أفغانستان

محمود شاکر

المكتب الإسلامي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الخامسة

١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

المكتب الاسلامي

بيروت: ص.ب ٣٧٧١/١١ - هاتف ٤٥.٦٣٨ - برقياً: اسلاميا
دمشق: ص.ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقياً: اسلامي

أَفْغَانِسْتَان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين وبعد :
فإن لكل أمةٍ من الأمم غاية تسعى إلى تحقيقها إن كانت تريد الحياة ، وتبغى البقاء ، وتطلب العزة ، وتسير وراء المنعة . هذه الغاية لا بدّ لتحقيقها من أهداف يتم الوصول إليها الواحد بعد الآخر على مراحل متتابعة ، ولا يمكن تأمين هذه الأهداف إلا بعد غرسها في نفوس الشباب لتكون مثلاً أعلى لهم يتسابقون من أجل الظفر به ، ويسعون من أجل الوصول إليه حسب التضحية والبذل والجهاد والفداء . أما إن تركت هذه المهمة فلا شك أن الشباب يصابون بالضباع وتتقاذفهم الأهواء ، وينتاب الأمة الضعف ويسري الوهن في نفوس أبنائها حتى تصبح نهبا بين الأمم ومطعماً لكل الشعوب ، وأخيراً تزول وتنقرض ، كما زالت أمم ، وانشطت شعوب ، وكذا الأمر عندما لم تكن لها غاية في الحياة .

والأمة الإسلامية منذ وجدت كانت غايتها إخراج
الناس من الظلمات إلى النور ، فانطلق أبناؤها إلى الجهاد
في سبيل الله . وما من فتى إلا وكان همه القتال والغزو
مع جيوش الفتح والخروج في أرض الله يبلغ دعوة الله ،
وما من أحد إلا وكانت أمنيته تحقيق النصر بامكاناته
كلها وطاقاته كلها وفوق ذلك كان أكبر أمانيه أن يموت
في أرض المعركة وتكتب له الشهادة . فكان كل رجل في
هذه الأمة يصلح أن يكون قائداً لما يحمل من روح
معنوية عالية ، وكان كل جندي مقدماً شجاعاً يخوض
غمار الحرب مبتسماً يطلب الفوز بإحدى الحسنيين النصر
أو الشهادة لا يبالي أقبلت الكتيبة أم أدبرت ، شدّ الأعداء
أم تراخوا بل ربما كان شدتهم أحب إلى نفسه لينال منهم
ويحقق ما يريد ، فكم من رجل تسلم القيادة ولم يُسمع
به من قبل ، فإذا به في مصاف عظماء القادة . وبهذه الروح
انتشرت الفتوحات ، وانطلق المسلمون في أرجاء الأرض
يحطمون الطواغيت ، ويزيلون دول الظلم ومعاقل الشرك من
المناطق التي وصلوا إليها ، واجتاحتها جيوشهم .

وتوقفت الفتوحات لأسباب كثيرة منها ما ارتبط
بالسلطة مباشرة ، ولم يكن المجتمع أثر في تغيير الخطة
أو تبديل الوضع ، فهدأت حركة الفتوح ، واتجه الناس نحو
العلم وانصرفوا إليه وتسابقوا إلى مجال آخر غير طريق

الفتح ، يحاهدون في سبيل إدخال الناس بالإسلام عن هذه الطريق بعد أن سدت الثغور - ثغور الجهاد - ، كما أن العلم طريق أخرى لسد الفراغ الذي حدث نتيجة توقف الفتوح . فظهر في هذه المرحلة علماء أفذاذ في مختلف العلوم لا تزال أسماؤهم لامعة في ميدانها . بل إن الطريق التجريبية التي طبقوها وعلم الرجال الذي أوجدوه بل وكل جهل في كل ميادين العلم التي ساروا فيها كان معه الإبداع ، وكان علو الشأن . وكان هدف كل شاب أن يكون له باع في هذا الميدان ، وكأن أهداف الأمة قد أصبحت علمية بعد أن كانت حربية ، وناب القلم منها عن السيف والغاية فيهما واحدة ولكنها انتقلت من السيف والفتح إلى القلم والكتاب . وقدّم المسلمون للعالم علماً يستنير به . كما انهم في هذه المرحلة نشروا الإسلام في أصقاع واسعة متعاونين مع التجار والدعاة أو كانوا هم من تلك البقاع ، أو أنهم قدّموا لهم المادة الأساسية للدعوة وهي العلم .

بعد هذا التوسع في ميداني الفتح والعلم حدث على مر الزمن شيء من الفتور ، وأصبح للمادة أثر تغلب أو طغى أحياناً على الدعوة ، فلم تعد هناك شحنات من الإيمان تملأ القلب ، وتسيطر على النفس ، تبقيها معها في حرارة الكلمة ودفء التعبير وعبير الجنة وريح الخلد وإنما أصبحت تطورات السياسة وأحداث العالم الاسلامي المؤلمة تملأ

الجوارح وتسيطر عليها ، وتجعل من الأرباح ورنين الدراهم
خير تسليية وأفضل مواساة ، واتجهت النفوس إلى الجمع
والتملك والكسب والتجارة ، وحتى في هذا المجال بلغ المسلمون
شأواً كبيراً إلا أن ذلك قد أدى إلى الضعف وفتور الهمة في
القتال ، واسترخت النفوس ، وطلبت الراحة حيث كان
المسلمون قد انقسمت ديارهم ، وتجزأت أمصارهم ، واختلف
قاداتهم ، فأثر ذلك على الفتح والقيام بأمور الدعوة ونشر
الإسلام .

في هذه الآونة قامت أوروبا التي كانت ضعيفة أمام
المسلمين قامت تغزو ديارهم ، وتفكر بالنصر بعد أن أخذوا
إلى الأرض ، ونالت أوروبا بعض ما كانت تبغيه من
التغلب على المسلمين ، وارتكبت اثناء ذلك الأعمال الوحشية
التي كانت الخافز لرد الفعل ، فكان لا بد أن يفكر الناس
بالخلاص ، وأصبحت فكرة الانقاذ تراود أذهان الشباب ،
ونشأ قادة عمالقة كان همهم إخراج أعداء الله من الامارات
الصليبية التي أقاموها حتى تمّ الجلاء النهائي وكان أشهر
هؤلاء القادة عماد الدين وابنه محمود نور الدين ثم صلاح الدين
الأيوبي - رحمهم الله - .

ولكن ما إن خرج الأعداء من البلاد حتى عادت
الفكرة السابقة تطفئ على النفوس التي اعتادت الرقود ،
وتعوّدت على التقاعس وإهمال الغاية الأساسية في الحياة

وذلك بسبب ما نزل بالأمة من نوائب جديدة جعل الضعف ينتابها مرة أخرى ، وكانت أوروبا في الوقت نفسه - وهي التي تلقنت درساً من هزيمتها - تخطط ، وتتحرك ، وتتوثب ، وتنفض على جزء بعد جزء من العالم الاسلامي ، فكانت غاية أبنائها الحركة ومحاولة النهوض من العثرات والصحو من النوم لذا نشأ فيهم المغامرون والبحارة والمكتشفون والرحالة والذين يحملون في قيادة الجيوش ، كل هذا في سبيل النصر الذي خسروه والقيادة التي لم يعرفوها بعد ، لذا تقدمت أوروبا ونهضت ، وتأخرت أمتنا وكبت ، وتوالت علينا النكبات والمصائب ، واستمر تخلفنا .

بدأ يساور النفوس الشعور بالضعف أمام التقدم الأوروبي ، وهذا ما جعل الأوروبيين يستطيعون السيطرة على معظم البلاد الاسلامية ، يأخذون خيراتها ، وينقلون المواد الخام منها إلى بلادهم لصناعتهم ، فتقدمت صناعتهم وتأخرت بلادنا ، وافتقر سكانها بل أصبحوا تبعاً وخداماً للاقتصاد الأوروبي ، وقد كان لهذا كله نتائج كبيرة وبخاصة من الناحية النفسية فقد بدأ الشعور بالضعف بشكل واضح ، وظهر التقليد ، وكادت تمحى الشخصية إلا من الذين كانوا ولا يزالون يشعرون بالاستعلاء الإيماني وإمكانية التفوق واستعادة قيادة الركب ؛ فقد وقفوا أمام التيار ،

وتحملوا ضغطه ، وتجلدوا أمام قسوته ، وكانوا كلما هبت
ريح عاتية يريد أن تقضي على الأمة وشخصيتها تعرضوا
لها ، ووقفوا في وجهها ، ولا يزالون قائمين على الحق لا
يهمهم من خالفهم ، ولولا ذلك لكانت حياة الأمة أقرب
إلى نهايتها .

رأى الأوروبيون أن يخرجوا من بعض الأمصار أو
أكثرها بعد أن تمّ لهم ما أرادوا حيث أفقدوا الأمة
شخصيتها ، وقتلوا فيها روح المقاومة والفداء إذ أثرى
بعض الناس من وراء التجارة وخدمة الغرباء ، فشرّيت
الأرض ، وظهرت طبقة من الأغنياء والزعماء ، وارتبطت
أوضاعهم بأوضاع المستعمرين الذين سهّلوا لهم كثيراً من
سير أعمالهم المادية ، وأصبح الغنى مطلوباً بمجد ذاته ،
وصار همّ الشباب الحصول على الغنى والثراء لأنه في نظرهم
الضعيف مصدر المنصب والزعامة والجاه .

وعمل الأوروبيون على نشر الفساد ، وساهموا مساهمة
فعالة في إيجاد كل وسائل اللهو وإثارة الغرائز ، ووجدت
جماعة اتخذتها صناعة لها ، وروجت هذه البضاعة وأطلقت
على نفسها اسم أهل الفن طارت شهرتهم بعد أن سخّرت
الأوروبيون لها كل وسائل الدعاية والشهرة في الصحف
والإذاعات والندوات ، وأثرى أصحاب الفن ثراء فاحشاً ،
وغدا كثير من الشباب يتمنون أن يكونوا من هذه الطبقة

ويسعون وراء ذلك حيث يحققون هواهم وشهواتهم من مال وشهرة وجنس بصورة مكشوفة وذلك كله مع احترام لهم من الزعماء. وبدأ تقليد أبطال الأفلام وبطلاتها حيث غدوا مثلاً أعلى للنشء الجديد من هذه الأمة .

هكذا ترك الشباب غاية الأمة الإسلامية وأهدافها ، واتجهوا إلى السعي وراء مصالحهم وشهواتهم والتسابق إليها . وعندها غيّر المستعمرون الأوروبيون مخططاتهم ، فخرجوا من البلاد ، وتركوها بأيدي أنصارهم ، ومن ارتبطت مصالحهم بهم . إلا أن الفوضى قد عمّت البلاد نتيجة نظام الحكم في أكثر بلاد المسلمين ، وخشي المستعمرون أن يفلت الأمر من أيديهم ، فسعوا إلى تسليم الحكم إلى طبقة خاصة تحكم البلاد بالقوة ، وتخضع السكان بالضغط والاكراه ، يضمنون من وراء ذلك عدم المعارضة ويحققون استمرار مصالحهم . وقد تكون هؤلاء الحكام الجدد واجهة يحكمون بها ، وتختلف تمام الاختلاف عن حقيقتهم زيادة في المكر والتمويه ، وكلما وجد المستعمرون ضعفاً في حكم استبدلوه بآخر أو سعوا في ذلك عن طريق استخدام عدة جياد ، ولا يختلف الحاكم الجديد عن الأول بارتباطه وإنما برجاله وشعاراته التي لا تتباين أيضاً إلا بالألفاظ . وتكررت الانقلابات وعمت كثيراً من البلاد الإسلامية حتى كاد اليأس يسود نتيجة الضغط والقسوة

وسيطرة عقلية معينة لا تصلح للفكر ومحاولة النهضة بالأمة
وكانت الانقلابات العسكرية وسيلة للظهور وحسب السيطرة
وتكاثر الشباب أمام الكليات العسكرية يبنون الظهور
لا يريدون الجهاد ولا القتال حتى لنستطيع أن نقول إن
مجرد انتماء الطالب إلى الكليات العسكرية كان تفكيره
يقوده للإعداد إلى القيام بحركات في المستقبل تظهره وتحقق
له بعض نزواته ، وكان أمثال هؤلاء الطلاب يُتصيدون
بوساطة منابر الاعداء ، ويعدون إعداداً خاصاً ليكونوا
جياد المستقبل . وكانت أبواب هذه الكليات توضع أمام
أصحاب الفكرة الإسلامية من الشباب .

كما أن الطلاب في الجامعات والمعاهد التعليمية لم يكن
مهم العلم بل التخرج لبلوغ أرفع المناصب واسمى المراتب ثم
الانصراف بعدها إلى اللهو والحياة العادية . وكذا بقيت
الناس لا همّ لهم إلا الجمع ولا غاية لهم سوى التفكير في
طريقة الحصول على المال أو المنصب . وفوق كل هذا
كانت مناهج التعليم تجعل النظام الاقتصادي أحد نظامين لا
ثالث لهما : إما الرأسمالي وإما الشيوعي ، أما ما عدا ذلك
فلا نظام ولا اقتصاد وعلى المسؤولين أن يختاروا إحدى
السبيلين وأن يسلكوا أحد الاتجاهين ، ونتيجة هذا تشكّلت
الحياة السياسية فيما أن يكون الارتباط بالدول صاحب
النظام الحر المتطرف ومعسكراتها وإما بالدول ذات النظام

الجماعي المتطرف وأحلافها ، أما أن تكون أمة صاحبة
كيان مستقل وشخصية متميزة فأمر لم يفكروا فيه ولا
خطر ببال أحدهم لذا فالدول الكبرى تشعر أن فراغاً
قائماً في المنطقة فإن لم تسرع وتشغله سبقتها الأخرى واحتلته
وعلى الشاب منذ أول عهده أن يختار إحدى الطريقتين وأن
يدعو لها وبالتالي أن يرتبط بمن يدعمه ويؤيده ويمده بالفكر
وغيره من ويبقى صاحب الفكر الحر ضعيفاً لعدم
وجود سند له ، ولإعلان الحرب عليه في الداخل ، والهجوم
عليه من الخارج ، والسلاح كله بيد العدو ووسائل الاعلام
وطرق الاغراء .

وشغل المجتمع الاسلامي يجماعات هم بعضها الجمع ،
وأخرى همها تحقيق الشهوات ، وثالثة تطلب الظهور وتسمى
وراءه ، ورابعة تعمل على السيطرة والتحكم و ... وكلها
يمكن توجيهها والسير بها من حيث تدري أو لا تدري ...
فكل يسعى وراء هدفه ، ولم تعد للأمة غاية ... بل إن
أكثريّة الناس لم يعد لهم أمل بالإصلاح إذ انقسمت الأمة
بين يمين ويسار وشرق وغرب .

والواجب الذي يتحتم علينا أن يكون لنا هدف ، وأن
تكون لنا غاية ، ونغرس في نفوس الشباب ذلك ليسعوا
وراء مبتغاهم ويكون ذلك بالعمل على :

١ - تعريف المسلمين بأوضاع إخوانهم وأوضاع بلادهم

ليروا أن الداء واحد، وأن العلاج واحد، وكله بسبب عقيدتهم .

٢ - جمع الدول الإسلامية المبعثرة في اتحاد ليشكل قوة عالمية يحسب حسابها ، ويقوم الاتحاد على أساس الاسلام وتطبيقه .

٣ - طرح فكرة الحل الاسلامي لمشكلة العالم الانساني الذي ما زال يتخبط ، وقد أصابه الخواء الفكري ، وقد وضع ذلك في الآونة الأخيرة على نطاق واسع .

٤ - العمل على نشر الاسلام حتى يعمّ أرجاء الأرض .

٥ - الجهود المتواصلة لتحصيل العلم ومسايرة الركب العالمي ، ونشر الأفكار الإسلامية في النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لتكون الشخصية المتميزة والأمة المتميزة .

٦ - الاستعلاء والشعور بالتفوق الإيماني الذي هو أعلى من كل تفوق ، ولنخلص هذا الجيل من الشعور بالضعف وعقدة الصغار وتقليد الغرب .

وهذه الأهداف لا بدّ من الكتابة فيها والدعوة اليها ، وقد خطا بعضهم خطوات مجيدة في بعض جوانب العمل ، وبذل آخرون جهوداً حميدة .

ويظهر أن تاريخ أمة من الأمم لا يبدأ دور النهوض والارتقاء بالظهور فيه إلا عندما تتضاءل أمامه بقية

أحداث الأمم . واليوم بدأت أحوال الشعوب الأخرى تضعف أمام أعيننا إذ شعر العالم بالخواء الفكري ، ورأى الحاجة ماسة إلى منقذ وهذا لا يكون إلا في الإسلام الذي بدأ يستعلي أتباعه . وإن مراحل تاريخ أمة من الأمم من نهوض وتقدم ثم توقف وثبات وأخيراً تراجع وعودة إلى الوراء ما هو في الحقيقة إلا وجود غاية للأمة أو تركها . فدور النهوض هو محاولة الوصول إلى الغاية ، ودور الضعف ليس هو إلا انعدام الغاية ووضع هدف أمام أعين الشباب للوصول إلى مرحلة معينة . وعلى القادة المسلمين أن يفرسوا في نفوس الشباب ما يتطلعون إليه ويأملون في الوصول إليه ثم يقودونهم إلى ذلك ، ويمدون العالم بحضارتهم ويقودونه . ومن هذا المنطلق نبدأ في تعريف المسلمين بأحوال إخوانهم وأوضاع بلادهم ، وسيكون في هذا الكتيب تعريف بدولة أفغانستان الشقية ، فنرجو أن يحقق الفائدة المطلوبة ونطلب من الله سداد الخطأ واستقامة الطريق ، والله هو المسؤول وحده ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

١٧ محرم ١٣٩٤ هـ

٩ شباط ١٩٧٤ م

محمود شاكر

أَفْغَانِسْتَان

في قلب آسيا في منطقة بعيدة عن البحار تمتد أفغانستان على رقعة واسعة من الأرض تبلغ مساحتها ٦٥٠,٠٠٠ كيلو متراً مربعاً ، تشكل السفوح الغربية لتلك الجبال الشاخنة التي تشغل وسط آسيا فيتكوّن معظم سطحها من مرتفعات خلا بعض المساحات التي تشمل بعض الجهات الغربية سواء من ناحية الشمال أم من ناحية الجنوب .

وليست تلك الجبال هي الجرداء كما يتوهم بعضهم ، وإنما وديان خضر تفصلها أعراف ، وما تلك الأعراف بالقاحلة ، وإذا كان بعضها كذلك إما لصخوره المعرّاة في الشرق بسبب شدة الانحدار ، وإما للجفاف في الغرب لقلة الأمطار إلا أن أكثرها خضراء تغطيها الغابات أو تملؤها الشجيرات وتنمو عليها الأعشاب . وهي في الربيع مختلفة الألوان باختلاف أنواع الزهور الطبيعية لا يشذ عرف ولا يختلف مرتفع سوى ما يبقى منها مكلاً بالثلج لارتفاعه

يسطع بياضه وتنعكس عليه أشعة الشمس كلون من الورود
الأخرى . وتبقى القمم شاهقة في الشرق عالية القامة
مرفوعة الهامة ، مهما شرق الإنسان نحوها بقيت سامقة
أمامه كأنه لا نهاية للارتفاع ، ويستمر العلو كلما ارتقى
المرء قمة لحظ هناك أعلى منها ، ويبقى الصعود أمام
ناظريه .

هذه الأودية التي تملؤها النباتات تعيش في أحضان يحميها
انخفاضها من برد الرياح العاتية من أين جاءت ، ومن
لفحات الصقيع تحملها نسبات الشمال أو تدفعها زوابع ثلوج
القلل . تحيا بالدفء فيأوي إليها الإنسان ، ويركن إليها
الحيوان ، فتطفح بالحياة ، وتنعم بالنشاط ، وإن كان
ما حولها هادئاً ساكناً من شدة البرد لا يقطع هذا الهدوء
إلاّ صفير ريح باردة أو صوت زوبعة ثلجية أو حركة
حيوان أضناه الجوع فخرج يفتش عن وجبة له في صيد ،
وقد التحف فروته يقتل بها برد الشتاء القارس ، وقد
يشئت السكون في الغرب إعصار مطر أو عاصفة وإن
كان حدوثها قليلاً وزمنها ضئيلاً .

هذا الهدوء الذي ينجم في الشتاء على الأعراف والقلل
ينقلب إلى حركة مستمرة ونشاط دائم منذ أن يبدأ
الجو بالدفء فيقطع تفكير الإنسان ناي الراعي وصوت
البدوي ينتقل وراء حيواناته ، وحركة القبائل والعشائر

تنقل أثاثها وتحمل خيامها إلى المصيف ، وصوت الفراشات
ترود المكان وتختلف من زهرة إلى أخرى وقد فتتقها برد
الندى فأخرجت ما كانت تخفيه من عير فاح فملاً سفوح
التلال برائحته . ويبقى الثرى مبتلا ببرد الطلّ مدة
وببعض خيوط الماء تلمع تحت أشعة الشمس تنساب بهدوء
من بقع الثلج فتخدد الأرض ، وتجعل فيها انخفاضات
وثيدة ، وتظهر الأغنام مصطفة على جانبيها تروي ظمائها .
تشكل أفغانستان القسم الشرقي من هضبة إيران ،
وتغلب الصفة الجبلية على سطحها ، ويكون الميل العام من
الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي .

تبدأ المرتفعات في الشمال الشرقي بهضبة بامير التي تشكل
عقدةً تتفرع منها السلاسل الجبلية الشاخنة ، يبلغ متوسط
ارتفاعها ٣٠٠٠ - ٣٦٠٠ م ، ولكنها تصل في بعض قممها
إلى ٦٠٥٤ م داخل أراضي أفغانستان ، وتعرف هذا الهضبة
لعلوها الشاهق باسم سقف العالم ، وتشكل مناطق الحدود
بين أفغانستان وطادجكستان وكشمير وباكستان والتبت .
وتغطي الثلوج قممها معظم أيام السنة ، ويكون شتاؤها
طويلاً بارداً ، وصيفها دافئاً لا يزيد على ثلاثة أشهر ،
ويرتادها في الصيف بعض الرعاة من قبائل القيرغيز .

ومن الجبال التي تتفرع منها في أفغانستان .

١ - جبال هندكوش : وتمتد باتجاه الجنوب الغربي

للمشغل أكثرية أرض أفغانستان حيث تصل إلى مقربة من حدود إيران ، ويستمر هذا الامتداد على طول ٥٧٥ كم . وتكون مرتفعة في الشرق إذ يصل علوها إلى ٥٣٣٤ م بينما تنخفض في الغرب فلا يزيد ارتفاعها على ٣٠٠٠ م . وتنساب الأنهار منها في جميع الاتجاهات على شكل أودية وشعاب حتى أن كلمة هندكوش تعني جبال الأنهار . وقد جزأتها هذه السيول إلى عدة سلاسل يطلق عليها أسماء مختلفة مثل جبال انجمن في الشرق ، وكوه بابا في الوسط غرب مدينة كابل^(١) ، وباند بايان في الغرب . وهناك سلاسل فرعية مثل باندي تركستان شمال نهر مورغاب بينه وبين حدود تركمانستان ، وباندي بابا بين نهري مورغاب وهاري رد ، وتيماني بين نهري هاري رد وفرح ، وهازاراجات بين نهري هلمند وكاش رد .

وبين هذه السلاسل والقمم ممرات عظيمة تخترق هذه الجبال العالية من رؤوس الأودية والشعاب تجتازها قوافل البغال وارتال السيارات تنقل المسافرين والحجاج وتحمل البضائع والأحمال .

٢ - جبال سليمان : وتتفرع من هضبة بامير ، وتتجه جنوباً ، وتشكل الحدود بين أفغانستان وباكستان ، وتتألف من سلاسل متقاربة تخترقها أودية عميقة ، ويصل أعلى

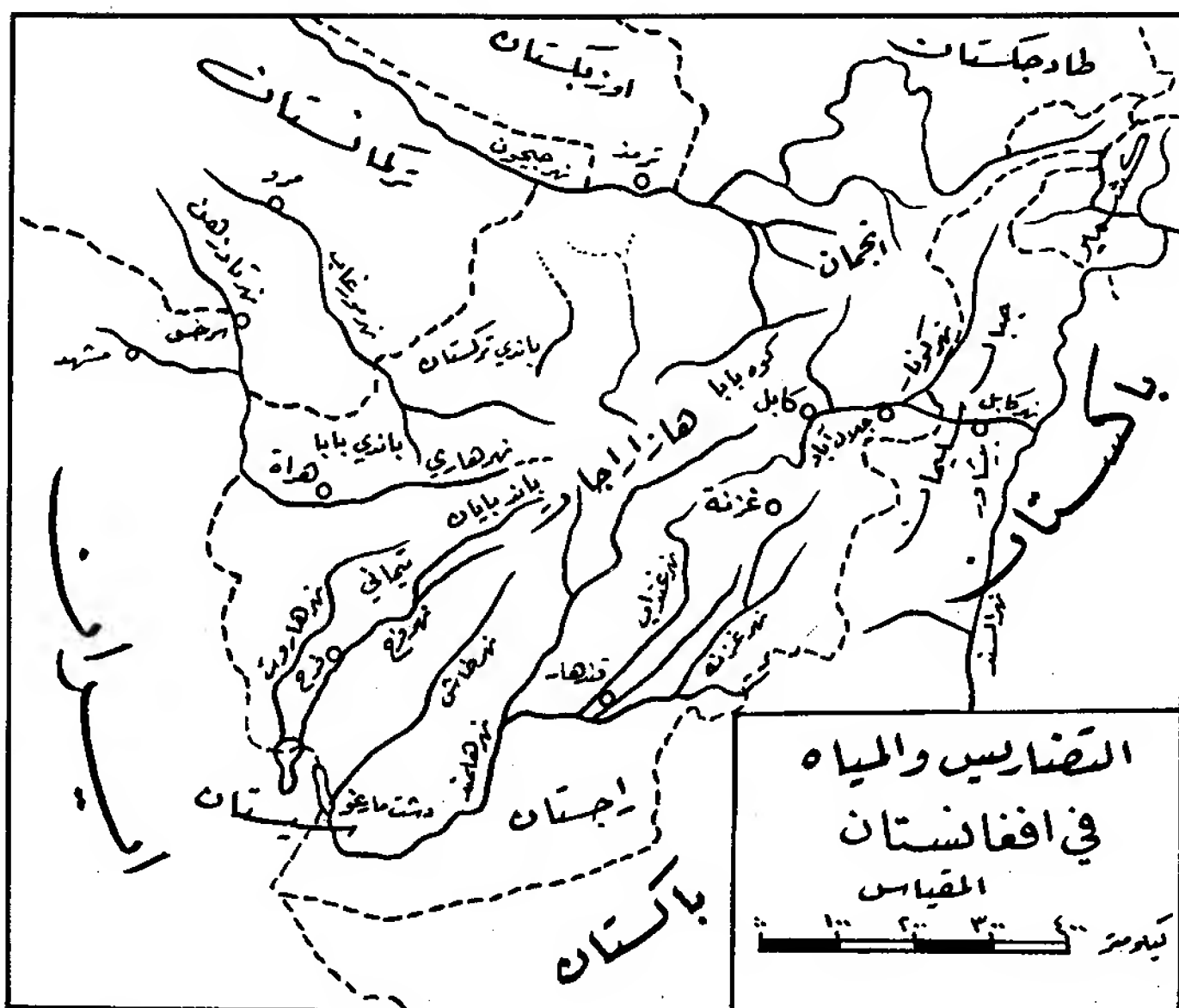
(١) كابل : بضم الباء

(٢) رد : وتعني : نهر

ارتفاع لها إلى ٤٧٦١ م في قمة سيكرام على الحدود بين الدولتين في جنوب شرق مدينة كابل . ومن أشهر ممراتها خيبر الذي يمر فيه نهر كابل ، ويصل بين مدينتي كابل في أفغانستان وبيشاور في باكستان .

أما السهول فتتمدد في الشمال في مناطق ضيقة قريبة من مجرى نهر جيحون الذي يشكل الحدود بين تركستان التي تخضع للسيطرة الروسية وبين أفغانستان ، ولا يزيد ارتفاع المناطق على ٣٠٠ م ، وتؤول إليها المياه المنحدرة من جبال هندكوش ، ويصل بعضها إلى نهر جيحون بينما يفيض أكثرها في رمال المنطقة . وكذا توجد سهول في الغرب حول مدينة هراة^(١) وعلى مجرى نهر (هاري رد) في مجراه الأوسط ، وفي الجنوب الغربي توجد بقاع واسعة قليلة الارتفاع أكثرها انخفاضاً على حدود إيران حيث تنتشر مستنقعات (سيستان) التي تؤول إليها سيول نهر (هلمند) و(كاش رد) و(فرح) وغيرها ولكن تعدّ هذه الأقسام صحاري سوى ما كان على مجرى نهر هلمند وتسمى صحراء (راجستان) في الشرق و (وشت مارغو) في الغرب

(١) هراة : بفتح الهاء . والنسبة لها هروي ، على وزن حماة وحموي .



المنكخ

تمتد البلاد بين خطي عرض ٢٩ - ٣٨ شمالاً فهي تقع ضمن المنطقة المعتدلة الدفيئة الشمالية سوى أجزاء صغيرة تقع ضمن منطقة الصحارى الحارة ولما كانت أفغانستان منطقة داخلية بعيدة عن البحار والمحيطات لذا فمناخها قاري شديد الحرارة في فصل الصيف شديد البرودة في أيام الشتاء ، وإن كانت تختلف الحرارة بين المرتفعات والمناطق المنخفضة . ففي الجبال تعادل الحرارة في الصيف وتكون هضابها ومرتفعاتها مصايف جميلة ترتادها القبائل وترعى حيواناتها ، أما الشتاء فشديد البرد ، وكثيراً ما تنخفض درجات الحرارة إلى ٢٠° درجة دون الصفر وتكون مكللة بالثلوج وأما المناطق المنخفضة فصيفها حار لاهب تزيد درجة الحرارة فيه على ٤٥° مئوية ، وينام الناس على أسطح المنازل طلباً للنسيم العليل المعتدلة التي هي نسيم الجبل ، وتخلصاً من الحر الشديد والجو الخانق داخل البيوت ، وأكثر المناطق حرارة هي الجنوبية الغربية ، وفي الشتاء يعم الاعتدال ، وتهبط في هذا الفصل القبائل من الجبال .

تهب الرياح الموسمية في الصيف على جبال (سليمان) لا لا تتعداها ، وتحمل معها الأمطار ، أما بقية المناطق فتهب الرياح الشمالية الشرقية الجافة حيث تأتي من مناطق قارية ، ولا شك فإن لنسيم الجبل أثراً في الليل ويكون نسيماً

عليلاً منعشاً . وفي الشتاء تصل إلى البلاد الرياح الغربية التي تحمل بعض الرطوبة من البحر الأبيض المتوسط رغم بعده ، وتسبب هطول بعض الأمطار ، وتساقط في المرتفعات على شكل ثلوج بسبب شدة البرد ، كما تتعرض الأجزاء الشمالية للرياح الباردة الشديدة البرد فتسبب تلك اللفحات القارصة ، وتذشر الصقيع .

وأفغانستان بسبب بعدها عن البحار فهي قليلة الأمطار وأكثرها ما يهطل على المرتفعات في الشرق والشمال الشرقي حيث تبلغ كمية المطر الهاطلة هناك ٣٨٠ مم في السنة ، وأقل المناطق مطراً هي المناطق الواقعة في الجنوب الغربي ويبلغ ما يهطل عليها ٥٠ مم فقط ، والمعدل العام للمطر هو ٢٥٠ مم ، ولكن هذه الكمية تتفاوت من سنة لأخرى . وتمتاز سماء أفغانستان بالصحو معظم أيام السنة ، فالصيف دائم الصحو ، وأكثر أيام الشتاء تصفو سماؤها إذ الأيام الغائمة قليلة ، وتسطع الشمس الدافئة أغلب الأحيان .

المياه

بسبب قلة الأمطار نرى الأنهار قليلة وبخاصة الأنهار الدائمة الجريان منها ، هذا فضلاً عن ضآلة مياهها ، وهي تجري في بطون الأودية على شكل خيوط من الماء سببها ذوبان الثلوج الدائمة . ولكن عدد الأودية كبير معظمها

يجف أكثر أيام السنة لقلة المطر . وهي تمتلئ بالمياه إثر زخات المطر ، وتفيض في فصل الربيع واولائل الصيف عندما تبتدىء درجة الحرارة بالارتفاع بسبب ذوبان الثلوج ، وتشح فيما عدا ذلك لشدة الحرارة التي تؤدي إلى زيادة التبخر وقلة التغذية والاستفادة من بعض ما يجري فيها بالري ، وإذا ما زاد على ذلك استمر الجريان حتى وصل إلى المستوى الأسامي سواء إلى مستنقعات (سيستان في الجنوب الغربي أم إلى نهر جيحون في الشمال . وقد ينتهي بعضها وهو في طريقه قبل أن يصل إلى مبتغاه . فيفيض في الرمال أو يتلاشى في التبخر أو يزول في الري ومن أشهر هذه الأنهار والجداول :

١ - جيحون : ويجري في الشمال ، ويشكل الحدود بين أفغانستان وتركستان التي تخضع للسيطرة الروسية مسافة ٦٣٠ كم وينبع من هضبة بامير ، ويتلقى تغذيته من ثلوج بامير والجلال المشرفة على واديه سواء من جبال هندكوش من الجنوب أم مرتفعات تركستان من الشمال . ويصب نهر جيحون في بحيرة خوارزم (بحر آرال) مشكلا دلتا واسعة ، وقد كان فيما مضى يصب في بحر الخزر (قزوين) ويبلغ طوله ٢٢٤٠ كم ، ويفيض في أيام الربيع عندما تبتدىء الثلوج بالذوبان ، ويتسع في مجراه الأوسط والأدنى ، وتكثر عليه أشجار الحور والصفصاف وكثير من النباتات الشوكية

التي يأوي إليها وحش الفلاة وطير البر . ولا ترفده من
جبال هندكوش إلا أودية جافة وسيول تصل مياهها إليه
إثناء جريانها وامتلائها بالمياه في الشرق ، أما في الغرب فلا
تصل مياهها إليه وإنما تضيع بالرمال والتبخر . وقد اتفقت
أفغانستان مع روسيا صاحبة الكلمة في تركستان على
استغلال مياه هذا النهر في الري والزراعة وإقامة السدود
لتوليد القوى الكهربائية .

ومن الجدير بالذكر أن البلاد الواقعة وراءه قد أطلق
المسلمون عليها اسم بلاد ما وراء النهر نسبة إليه .

ومن المدن المشهورة التي تقع على هذا النهر ترمذ^(١)
التي ينسب إليها الإمام الترمذي^(٢) . وهي على حدود
أفغانستان ضمن جمهورية الأوزبك التي تخضع للسيطرة
الروسية .

٢- نهر هلمند : ويبدأ مجراه الأعلى من المرتفعات الوسطى
من جبال (كوه بابا) من غرب مدينة كابل ، ومن (باندي

(١) ترمذ : بكسر التاء والميم وسكون الراء . كانت قديمة مبنية
على شاطئ النهر ، فلما خربها جنكيز خان جدد بناؤها على
بعد ميلين من النهر .

(٢) الترمذي : هو محمد بن عيسى بن سورة السلمي البوغي ،
ويكنى بأبي عيسى ، ولد عام ٢٠٩ هـ - ٨٢٤ م ، تتلمذ للبخاري
قام برحلة إلى خراسان والعراق والحجاز ، وهو من أئمة الحديث ،
يضرب به المثل في الحفظ ، عمي في آخر حياته ، وتوفي في ترمذ
عام ٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م .

بايان)، بل إن كل المياه التي تنساب على السفوح الجنوبية لجبال هندكوش والسفوح الغربية للمرتفعات الشرقية تؤول إليه بواسطة روافد كثيرة وأودية عديدة . وقد تشكل هذه الأودية بحيرات أثناء جريانها في أودية عميقة بين الجبال عندما يعترضها خائق أو تجد أمامها عقبة لا تستطيع فتحها . ومن أشهر هذه الروافد نهر (غزنه) الذي ينبع من جنوب مدينة غزنه ، ونهر (أرغنداب)، وبين هذين النهرين وقبل التقائهما تقع مدينة (قندهار)^(١) ، ثم نهر (دوري) ونهر (لورا) اللذان يأتيان بالمياه من الشرق . ويكون اتجاه النهر نحو الجنوب الغربي ، ثم نحو الغرب ، وأخيراً يتجه نحو الشمال ليصب في بحيرة (سيستان) على الحدود الأفغانية - الإيرانية . ويبلغ طوله ١١٢٠ كيلومتراً ، ولكنه يروي وفروعه منطقة في الجنوب الغربي تزيد مساحتها على ثلث المساحة العامة لأفغانستان .

٣ - نهر خاش : كاش رد ، وتنحدر مياهه من جبال تيباني ، ويتجه نحو الجنوب الغربي ، ويصب ما يفيض من مياهه في منخفض سيستان .

٤ - نهر فروح : فرح رد ، وتأتيه المياه من جبال (تيباني)، ويمر بمدينة (فرح)، ويصبح بعدها جافاً ، ولا تجري المياه في واديه إلا عقب زخات المطر الشديدة ، ويؤول سيده أيضاً إلى منخفض (سيستان)، ويبلغ طوله ٦٤٠ كم .

(١) قندهار : بضم القاف وسكون النون وضم الدال .

٥ - نهر هاروت : في الغرب ومصير مياهه هو مصير الأنهار السابقة نفسه في منخفض سيستان .

٦ - نهر هاري : هاري رد ، ويجري في الغرب ، ويمد رأسه حتى أواسط البلاد ، ويعدُّ واديه طريق المواصلات ، وتقع في حوضه مدينة هراة ، ويستمر في اتجاهه الغربي حتى يصل إلى حدود إيران حيث يتجه نحو الشمال مشكلاً الحدود بين أفغانستان وإيران ثم بين بلاد التركان وإيران ، وأخيراً تفيض مياهه في رمال بلاد التركان ، ويعرف هناك باسم تادزهن . وبأيته رافد من إيران هو نهر مشهد . ومن المدن الواقعة على هذا النهر ذات الماضي التاريخي مدينة سرخس (٢) عند انعطاف الحدود الإيرانية نحو الغرب ، ضمن

(١) من العلماء الذين ينسبون إلى مدينة سرخس (١) عبيدالله بن سعيد السرخسي من حفاظ الحديث توفي عام ٢٤١ هـ ، وهو الذي أظهر السنة بسرخس ، وقد روى عنه البخاري ١٣ حديثاً ، ومسلم ٤٨ حديثاً .

عبد الرحمن بن محمد السرخسي يكنى بأبي بكر ، فقيه حنفي ، ولي قضاء البصرة مرتين توفي عام ٤٣٩ هـ .

أحمد بن محمد بن مروان بن الطيب السرخسي ، له علم غزير ، تولى الحسبة في بغداد ، توفي عام ٢٨٦ هـ .

اسماعيل بن إبراهيم بن محمد السرخسي ، عالم بالفقه والادب ، ألف كتاباً في مناقب الشافعي ، توفي ٤١٤ هـ .

محمد بن محمد رضي الدين السرخسي ، فقيه من أكابر الحنفية ، أقام مدة في حلب ثم تعصب عليه أهلها فسار إلى دمشق وتوفي في عام ٥٤٤ هـ .

محمد بن أحمد بن سهل السرخسي قاضي من كبار الأحناف من أشهر كتبه المبسوط في ثلاثين جزءاً توفي عام ٤٨٣ هـ .

بلاد التركان التي تخضع للسيطرة الروسية . ويصل طول هذا
النهر إلى ١٠٠٠ كم تقريباً يجري في أفغانستان ٦٥٠ كم
والباقي في بلاد التركان . كما كانت مدينة بيهق^(١) تقع في
مجرى الأسفل حيث تزول مياهه قريباً منها . وليس له
اليوم اسم ، وقد اندثرت . وهي في بلاد التركان تحت
السيطرة الروسية ، وما انشأ اليوم لا يمكن أن يحمل
هذا الاسم للسياسة الروسية المتبعة التي تريد إزالة كل ماضٍ
وتاريخ واعتباره من بداية ثورتها الشيوعية ، وكل ما قبل

(١) ينسب إلى هذه المدينة عدد من العلماء الاعلام منهم :

١ - إسماعيل بن الحسين بن عبدالله البيهقي . أبو القاسم
أو أبو محمد : فقيه حنفي زاهد ، له عدة كتب في مذهبه توفي
عام ٤٠٢ هـ .

٢ - أحمد بن الحسين بن علي البيهقي . أبو بكر : من أئمة
الحديث ، شافعي المذهب ، قال عنه إمام الحرمين : ما من
شافعي إلا وللشافعي فضل عليه إلا البيهقي فإن له المنة والفضل
على الشافعي لكثرة تصانيفه في نصرة مذهبه وبسط موجز
وتأييد آرائه ، من مصنفاته السفن الكبرى في عشرة مجلدات
والسفن الصغرى ، ودلائل النبوة ، والمبسوط توفي عام ٤٥٨ هـ .

٣ - أحمد بن علي محمد البيهقي . أبو جعفر : لغوي
عالم بالقراءات ، له (المحيط بلغات القرآن) و (تاج المصادر
توفي سنة ٥٤٤ هـ .

٤ - علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي : باحث
مؤرخ ، تفقه وتآدب واشتغل بعلوم الحكمة والحساب والفلك
صنف ٧٤ كتاباً توفي ٥٤٣ هـ .

٥ - محمد بن الحسين البيهقي ، أبو الفضل : مؤرخ ، كما
كاتب الانشاء في دولة السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي
توفي سنة ٤٧٠ هـ .

ذلك فهو أسود حالك . وقد أقيم مشروع كهربائي على
النهر عند غريشك كما أن عليه سدين آخرين للري .
٧ - نهر مورغاب : وينبع من شمال جبال (هندكوش) ،
ومن أواسط البلاد ، ويتجه نحو الغرب ، وعندما يصطدم
بجبال (باندي بابا) يضطر إلى الانحراف نحو الشمال ، وتأتيه
روافد تتجه من الجنوب إلى الشمال ، وتلتقي معه عند
حدود بلاد التركمان أو في داخلها ، كما يأتيه نهر (خوشا)
الذي يكون مجراه الأعلى في بلاد الأفغان على السفوح
الشمالية لجبال (باندي بابا) ويستمر في اتجاهه حتى يصل
بلدة مرو^(٢) عاصمة بلاد خراسان أيام الدولة الإسلامية ،

(١) مرو : مدينة قديمة ، اقيمت مدينة حديثة في غربها على بعد
٣٠ كم بأسم ماري . ومرو مدينتان تعرف الأولى بأسم مرو
الشاهجان ، وهي مرو العظمى أشهر مدن خراسان وقصبتها ،
والنسبة إليها مروزي على غير قياس ، ومعنى أسمها نفس
السلطان إذ أن كلمة جان تدل على نفس أو روح ، ومن مرو هذه
أحمد بن محمد بن حنبل الإمام المعروف . ومنها عبدالله بن
المبارك ، ومنها أسماعيل بن الحسين بن محمد المروزي ، النسابة
الاديب الذي اجتمع به ياقوت الحموي في مرو عام ٦١٤ هـ ،
ومنها هارون بن خالد المروزي الوالي للخليفة المتوكل على بلاد
السند والمتوفي عام ٢٤٠ هـ . ومنها عبدالله بن عثمان الحافظ
للحديث الذي ولي قضاء جوزجان لعبدالله بن طاهر والمتوفى
٢٢١ هـ . ومنها أحمد بن علي بن سعيد المروزي . أبو بكر
القاضي المعروف ، من حفاظ الحديث المشهورين ، وقد ولي قضاء
حمص ، ومات قاضيا بدمشق عام ٢٩٢ هـ . ومنها محمد بن نصر
المروزي امام الفقه والحديث المتوفى في سمرقند عام ٢٩٤ هـ .
ومنها ابراهيم بن أحمد المروزي . أبو اسحاق الفقيه الشافعي

والتي اشتهرت في الأدب العربي بأنها بلد البخلاء . وهناك
تؤخذ من عدة أقنية إحداها تصل إلى مدينة مرو ،
والثانية إلى بيرام علي ، وتصله اليوم قناة بنهر جيحون
باتجاه الشرق ، وأخرى بنهر هاري باتجاه الغرب .

٨ - نهر كابل : ينبع من وسط البلاد ، ويتجه شرقاً ،
فيمر بمدينة كابل ، وبعد خروجه منها تصل إليه مياه لوغار ،
ثم تبتدىء الروافد تأتيه من اليمين والشمال ، وعندما يصل
إلى مدينة جلال آباد يتسع مجراه ، ويعرض واديه ، ثم
يحتاز ممر خيبر وتكون قد جاءت من الشمال مياه نهر
(غلينكار) قبل مدينة جلال آباد ورفده بعدها نهر (كونار)

المتوفى في مصر عام ٣٤٠ هـ . وهي الآن تحت الاستعمار
الروسي .

أما مرو الثانية فهي مرو الروذ وهي مدينة صغيرة بالنسبة
لمدينة مرو الشاهجان ، وقريبة منها بينهما خمسة أيام ، والنسبة
اليها مروروذي أو مروذي ، وبها مات المهلب بن أبي صفرة ،
والروذ بالفارسية معناها النهر أي مرو النهر حيث تقع على
نهر مورغاب ، وتقع اليوم في أفغانستان على حدود بلاد التركمان
تماماً . ومنها أحمد بن عامر بن بشر بن حامد المروذي وهو
من كبار فقهاء الشافعية توفي ٣٦٢ هـ . ومنها حسين بن محمد بن
أحمد المروروذي ، وهو أيضاً من كبار فقهاء الشافعية ، وقد عمل
في القضاء ، وتوفي ٤٦٢ هـ . ومنها كريمة بنت أحمد بن محمد
المروذية التي تعرف بأسم أم الكرام أو ست الكرام وكانت تروي
صحيح البخاري ، وقد توفيت بمكة عام ٤٦٣ هـ .

ويقع قصر الاحنف بن قيس خارجها من ناحية الشمال داخل
بلاد التركمان اليوم .

وتقدر المسافة بين هاتين المدينتين مرو الشاهجان ومرو
الروذ بـ ٢٥٠ كم .

الذي يسير موازياً للحدود ، ويدخل باكستان ، فيمر في مدينة (بيشاور) وبعدها يرفد نهر السند عند مدينة (اوتوك). يبلغ طول هذا النهر ٦٠٠ كم من منبعه غرب مدينة كابل بـ ٨٠ كم حتى مدينة (اوتوك)، وبعد من أهم الأنهار الأفغانية للفوائد الكبرى منه ولاستمرار جريان مياهه .

النبات الطبيعي

رغم الأمطار القليلة فإن الغابات تكسو منحدرات جبال هندكوش وبامير وسليمان وتنمو أشجار الصنوبر والأرز والشربين والسرو والخور والعرر والفسق واللوز وتكون بين ارتفاع ١٥٠٠ - ٢٧٠٠ م . وينمو الزيتون البري على ارتفاع ٧٥٠ - ١٥٠٠ م . وما دون هذا الارتفاع وإلى ٧٥٠ م تنمو الأعشاب الشوكية والشيخ والشجيرات الهزيلة . وتعيش على الجبال بشكل عام النباتات العطرية والمزهرة والخشخاش البري .

أما في الجنوب الغربي فتمتد صحارى سيستان ، وهي تبه واسع من الرمال لذا سماها بعضهم بصحراء الموت .

وأكثر المناطق أهمية في غاباتها الشمال الشرقي ، ولكن صعوبة المواصلات يفوق نقل الأخشاب إلى بقية الجهات الأفغانية ، وقد يكون من اليسر نقلها إلى باكستان عن

طريق نهر كابل من منطقي (با كيتا) و(ننجر اهار)، بينما
يصعب حملها إلى بقاع افغانستان الأخرى . وتشغل الغابة
٢٪ من المساحة العامة للبلاد .

وتعيش في الغابات أنواع من الدببة والكلاب والقطط
والخنازير البرية والثعلب وابن آوى . وهناك الماعز والغنم
الجبليان التي تشتهر ذكورها بقرونها المعقوفة التي قد يصل
طول القرن فيها إلى متر أو أكثر .

الحياة البشرية

لمحة تاريخية :

يقصد بكلمة أفغانستان بلاد الأفغان ، وهي حسبما اعتادوا تناقله خلال الأجيال نسبة إلى (أفغانا) وهو حفيد بنيامين بن يعقوب عليه السلام سافر مع أبنائه الأربعين عندما حلت كارثة بني اسرائيل بهم ، واتجه إلى هذه المنطقة الواقعة شرقي بلاد فارس ، وأقاموا فيها ، ويدعي السكان أنهم من ذلك الأصل حسبما تروي أساطيرهم . ولكن كلمة أفغانستان حلت محلها اسم الدول التي سيطرت على المنطقة ، وأخيراً أطلق هذا الاسم على الدولة الحديثة التي قامت في تلك البقعة .

وتعدّ أفغانستان مهد الآريين الذين هاجروا إليها من سهول تركستان الغربية ، وانتقلوا من حياة الرعي والتنقل إلى حياة الزراعة والاستقرار ، فلشأت الحضارة ، وأقاموا مدينة (بلخ) عاصمة لدولتهم وكانت تسمى (باكتريا) وعرفت

البلاد باسم اريانا نسبة إلى الآريين ، وتعني كلمة آري
النبيل .

ولما تكاثر السكان هاجرت بعض قبائلهم إلى شمال الهند،
وهناك استقرت ، وبدأت حياتها بالتطور ، وفي الوقت
نفسه هاجرت قبائل أخرى من اريانا فعمرت فارس وشمال
العراق ، ووصل بعضها الآخر إلى أوروبا . كما أن الديانة
الهندوكية وجدت في أيامها الأولى في أفغانستان ، ثم
انتقلت إلى الهند مع القبائل الآرية ، واستمرت هناك إلى
هذا اليوم بينما زالت من المناطق التي نشأت فيها . وأطلق
على القسم الشمالي من أفغانستان اسم خراسان ومعناه
أرض الشمس .

غزا الاسكندر المقدوني البلاد عام ٦٥٢ قبل الهجرة ،
وأقام مدينتي (قندهار) و(هراة) ، واستمر حكم اليونان بعده
ما يقرب من مائتي عام في أفغانستان . وكان انتشار
البوذية في البلاد بعد خروج اليونان في عهد الملك آسوكا ،
وبقيت هي الديانة السائدة حتى ظهر الاسلام ، فحطمت
تماثيل بوذا .

وفي القرن السابع قبل الهجرة تدفقت جموع من قبيلة
كوشان من منطقة تركستان الشرقية ، وقامت الامبراطورية
الكوشانية التي كان من أشهر حكامها « كانكشا » الذي
حكم في القرن الخامس قبل الهجرة .

وعندما قويت الدولة الساسانية تقلصت قوة الكوشان ،
وتتابعت إمارات صغيرة محلية بيد أمراء يحكمون البلاد
باسم الساسانيين ، واستمر هذا الوضع حتى طرقت جيوش
المسلمين الفاتحين أبواب المنطقة .

وصول الاسلام إلى أفغانستان :

في العام السابع عشر للهجرة أيام الخليفة عمر بن الخطاب
أرسل القائد العام للجيوش الإسلامية في المشرق أبو سبرة
ابن أبي رهم^(١) الهرمزان^(٢) أسيراً مع وفد فيهم أنس
ابن مالك^(٣) والأحنف بن قيس^(٤) إلى أمير المؤمنين

(١) أبو سبرة : هو ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم برة
بنت عبد المطلب ، من السابقين الأوائل للإسلام ، هاجر مرتين
إلى الحبشة ، وفي الثانية كانت معه زوجته أم كلثوم بنت سهيل بن
عمرو ، شهد مع رسول الله الغزوات كلها ، كما كان في جيش
أسامة بن زيد ، ثم قاتل المرتدين ، واشترك في الفتوح ، وتوفي
عام ٣٥ هـ .

(٢) الهرمزان : من الذين دافعوا عن المملكة الفارسية في الأهواز ،
ونقض الصلح ، مما جعل المسلمين يحملونه أسيراً إلى المدينة ،
وقد اتهم بالاشتراك في قتل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله
عنه مع أبي الولوة .

(٣) أنس بن مالك : صاحب رسول الله وخادمه ، ولد في المدينة ،
وأسلم صغيراً وخدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن قبض .
ثم رحل من المدينة إلى دمشق ومنها إلى البصرة ومات فيها ،
وهو آخر من مات من الصحابة وذلك عام ٩٣ هـ . وروى عنه
رجال الحديث (البخاري ومسلم) ٢٢٨٦ حديثاً .

(٤) الأحنف بن قيس : أبو بحر ، سيد تميم ، يضرب به المثل في
الحلم ، أحد الشجعان الفاتحين ، أدرك النبي صلى الله عليه

عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فسأل عمر الوفد قائلاً :
« لعل المسلمين يؤذون أهل الذمة ، فلم هذا ينتقضون بكم »
وكان يشير إلى انتقاض الهرمزان بعد الصلح الذي عقده
مع المسلمين ، فقال الأحنف : « يا أمير المؤمنين إنك نهيتنا ،
وأمرتنا بالاعتصام على ما في أيدينا ، وإن ملك فارس بين
أظهرهم ، ولا يزالون يساجلوننا ما دام ملكهم فيهم ، ولم
يجتمع ملكان فاتفقا حتى يخرج أحدهما صاحبه ، وقد
رأيت أننا لم نأخذ شيئاً بعد شيء إلا بانبعاثهم ، وأن
ملكهم هو الذي يبعثهم ، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن
لنا فلنسح في بلادهم ، حتى نزيله عن فارس ونخرجه من
ملكته وعز أمته ، فهناك ينقطع رجاء أهل فارس
ويضربوا جأشاً ، فقال عمر : « صدقتني والله ، وشرحت لي
الأمر عن حقه » ، وأذن في الانسياح في بلاد فارس^(١) .

وكان أمراء الفرس قد خافوا من أن يصيبهم ما
أصاب الهرمزان فحفظهم ذلك إلى أن يوحّدوا كلمتهم لدفع
الفاطحيين عن بلادهم ، فكتبوا إلى يزيد جرد ليكون على رأس
وحدتهم ، وليعمل من جانبه على دعمهم . فكتب بدوره
إلى الأمصار يشجع أهل فارس ويحثهم على التكاتف
والتضامن والثبات فبعث إلى كل أمير من هذه الأمصار

وسلم ولم يره شهد صفين مع علي رضي الله عنه . توفي في

الكوفة عند مصعب بن الزبير عام ٧٢ هـ .

(١) الطبري ٢١٨/٤ طبعة دار القاموس الحديث للطباعة والنشر .

واجتمعوا في نهاوند حتى بلغ عددهم ١٥٠ ألفاً اجتمعوا
بإمرة الفيرزان . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد
أمر المسلمين بالانسحاب في بلاد فارس .

أخبر سعد بن أبي وقاص^(١) عمر بن الخطاب رضي الله
عنهما بهذا الحشد العظيم ، فقرر عمر أن يسير بنفسه لمعالجة
هذا الخطر الداهم ، ولكن أصحاب الرأي وعلى رأسهم
علي بن أبي طالب^(٢) رضي الله عنه نصحوه أن يبقى في
المدينة ، ويرسل قائداً يعتمد عليه ليفرق شمل القوات
الفارسية^(٣) . فقال عمر رضي الله عنه : « أشيروا عليّ
برجل أوليه ذلك الثغر وليكن عراقياً » فقالوا : « أنت
أعلم بحشدك ، وقد وفدوا عليك » فقال : « والله لأولين
أمرهم رجلاً يكون أول الأسنة إذا لقيها غداً ... وهو

(١) سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف الزهري ،
أبو اسحاق : ولد قبل البعثة بأربع عشرة سنة ، كان من
المسلمين الأوائل ، وأول من رمى بسهم في سبيل الله ، وأحد
العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد رجال الشورى الستة ، فاتح
العراق وواليه . فقد بصره ، ومات في قصره بالعقيق عام ٥٥ هـ
أيام معاوية رضي الله عنه . وكان قد اعتزل الفتنة .

(٢) علي بن أبي طالب : أبو الحسن ، أمير المؤمنين ، رابع الخلفاء
الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وابن عم النبي
صلّى الله عليه وسلم وصهره ، أول الناس إسلاماً بعد خديجة
رضي الله عنها ، ولد قبل البعثة بأربع عشرة سنة ، وقتله عبد
الرحمن ابن ملجم عام ٤٠ هـ وهو يصلي الفجر بمسجد الكوفة
يوم ١٧ رمضان .

(٣) الطبري : ٢١٢/٣ .

النعمان بن مقرن^(١) فقالوا : « هو لها » . فكتب عمر
اليه « بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر أمير
المؤمنين إلى النعمان بن مقرن ، سلام عليك فاني أحمد اليك
الله الذي لا إله إلا هو أما بعد : فإنه بلغني أن جموعاً
من الاعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند ، فإذا أتاك
كتابي هذا فسر بأمر الله وبعون الله وبنصر الله بمن معك
من المسلمين ، ولا توطئهم وعراً فتؤذيهم ، ولا تمنعهم
حقهم فتكفرهم ، ولا تدخلهم غيضة فإن رجلاً من المسلمين
أحب إلي من مائة ألف دينار والسلام عليك »^(٢) .

تحصن الفرس بمدينة نهاوند ، وطال الحصار ، فأرسل
النعمان القعقاع بن عمرو التميمي^(٣) على رأس الخيل فأنشب
القتال ، فلما خرج الفرس من خنادقهم وحصونهم ، تراجع
القعقاع أمامهم ، فظن الأعاجم أن انسحاب العرب كان

(١) النعمان بن مقرن: أحد رؤوس مزينة، أسلم في السنة الخامسة
للهجرة مع أخوته و ٤٠٠ فارس من مزينة ، واستشهد في نهاوند
عام ٢١ هـ . له عشرة أخوة لهم شرف الصحبة والباع
الطويل في الفتوحات الإسلامية .

(٢) الطبري ٢٥٣/٣ .

(٣) القعقاع بن عمرو التميمي : أحد فرسان العرب وأبطالهم .
له شرف الصحبة ، شهد اليرموك وفتح دمشق ، وحضر أكثر
معارك المسلمين مع الفرس في العراق . حضر صفين بجانب
علي رضي الله عنه . كان شاعراً فحلاً . قال عنه أبو بكر رضي
الله عنه : « صوت القعقاع في الحرب خير من ألف رجل » .
توفي عام ٤٠ هـ .

لضعف فيهم فقاموا بمطاردة العرب المنسحبين .
كان المسلمون على تعبثتهم ، وقد أمر النعمان جيشه أن
يثبتوا في أماكنهم ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم .. وأقبل
الفرس عليهم يرمونهم حتى أفسحوا فيهم الجراح .
وانتظر النعمان حتى تمّ خروج قوات الفرس من
حصونهم ... ثم ركب فرسه وسار في الناس ووقف على
كل راية يذكرهم ويحرضهم ويمنيهم الظفر ، ثم قال لهم :
إني مكبر ثلاثاً ، فإذا كبرت التكبيرة الأولى فليتهياً من
لم من يكن تهيأ ، فإذا كبرت الثانية فليشد عليه سلاحه
وليتأهب للنهوض ، فإذا كبرت الثالثة فإني حامل إن
شاء الله فأحملوا معي ... اللهم أعز دينك وانصر عبادك
وأجعل النعمان أول شهيد اليوم على أعزاز دينك ونصر
عبادك .

وهكذا استدرج النعمان أعداءه إلى حرب في العراء
خارج حصونهم وخنادقهم ، حتى إذا سنحت له الفرصة
حمل وحمل معه الناس ، فاقتتلوا بالسيوف قتالاً شديداً مما
جعل ساحة المعركة تزخر بالدماء والاشلاء ، فزلق فرس
النعمان في الدماء وصرع ، وقيل بل أصابه سهم في خاصرته
فقتله ، فسجاه أخوه نعيم بثوبه وأخذ اللواء من يده ،
ودفعه إلى حذيفة بن اليمان^(١) حسب وصية النعمان ، وأخفى

(١) حذيفة بن اليمان : حذيفة بن حسل بن جابر العبسي ، أبو
عبدالله ، واليمان لقب حسل : صحابي من الولاة الشجعان

نعم استشهاد أخيه عن الناس حتى لا تضعف معنوياتهم
فلما أظلم الليل انهزم الفرس ، وطاردهم المسلمون ، فلم ينج
منهم إلا الشريد ، حتى وصل في مطاردتهم إلى مدينة
همدان حيث استأمنهم أميرها .

وجعل المسلمون يسألون عن أميرهم النعمان ، فقال لهم
أخوه مَعْقِل : « هذا أميركم قد أقرّ الله عينه بالفتح وختم
له بالشهادة » .

ودخل المسلمون نهاوند ، وكانت معركة حاسمة ، أطلق
عليها المسلمون اسم فتح الفتوح ، وكان ذلك عام ٢١ هـ .

بعد فتح نهاوند قرر عمر بن الخطاب رضي الله عنه
أن يدفع قوات المسلمين إلى جميع أنحاء فارس ، فمقد بيده
سبعة ألوية لسبعة قادة عهد إليهم بالانسياح في أرض فارس
كلها . وكان من بين هذه الجيوش جيشان اتجها نحو المنطقة
التي تسمى اليوم أفغانستان والتي كانت تحكم بإسم حكام

= الفاتحين . كان صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم في
المنافقين ، لم يعلم أحد غيره . وكان عمر بن الخطاب رضي الله
عنه إذا مات ميت يسأل عن حذيفة ، فان حضر الصلاة عليه صلى
عليه عمر ، والا لم يصل عليه . ولاه عمر على المدائن بفارس .
وغزا الدينور ، وماء سندان فأفتتحهما عنوة ، كما غزا همدان
والري وأفتتحهما عنوة أيضا . واستقدمه عمر إلى المدينة ، فلما
قرب وصوله اعترضه عمر في ظاهرها ، فرآه على الحال التي
خرج بها ، فعانقه وسر بعفته . ثم أعاده إلى المدائن فتوفي فيها
عام ٣٦ هـ ، وله في كتب الحديث ٢٢٥ حديثا .

فارس . الأول منها سار نحو منطقة سجستان وعلى رأسه
عاصم بن عمرو التميمي ^(١) . وسجستان ناحية كبيرة وولاية
واسعة تشمل اليوم منطقتي راجستان وسيستان ، ومن
مدنها 'قندهار' وزرنج ^(٢) ، ويقع قسم منها اليوم في
إيران ، وهو غربي سيستان .

التقى عاصم بحمزة سجستان على تخوم بلادهم ، فلم يثبتوا
للمسلمين بل انسحبوا إلى زرنج عاصمة الولاية فحاصروهم
المسلمون فيها ، وبثوا كتائبهم تتغلغل في المنطقة كلها . ولما
أيقن المحاصرون أن طول الحصار يضر بمصالحهم ، ولا يجد
بهم نفعاً ، طلبوا الصلح على أن تكون مزارع سجستان
حمى لا يطرؤها المسلمون وذلك عام ٢٣ هـ . إلا أن سجستان
قد نقضت عهدها بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،
فاستعاد عبد الله بن عامر ^(٣) فتحها في أيام عثمان بن

(١) عاصم بن عمرو التميمي: أسلم في السنة التاسعة للهجرة مع قومه
بني تميم فكان له شرف الصحبة ، ولكنه لم يحارب تحت أواء
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اشترك في حروب الردة وفتح
العراق ، وفتح سجستان وتولى أمرها ، وتوفي عام ٢٤ هـ .

(٢) زرنج : مدينة لم يبق لها اليوم أثر . تقع في منطقة سيستان
على الحدود بين أفغانستان وإيران في بقعة المستنقعات ، كانت
مركز الولاية .

(٣) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة الأموي ، أبو عبد
الرحمن ولد بمكة عام ٤ للهجرة ، ولي أمر البصرة أيام عثمان بن
عفان رضي الله عنه بعد عزل سعد بن أبي وقاص ، أرسل
الجيوش فاستعاد فتح أفغانستان ، عزل عن البصرة ثم تولاها

عفان (١) رضي الله عنه

وأما الجيش الثاني فكان بأمرة الأحنف بن قيس ووجهته خراسان^(٢) ففتح هراة ثم سار نحو بلخ فأخذها ، ووصل طخارستان^(٣) إلا أن أهل خراسان عادوا فنقضوا العهد بعد عمر بن الخطاب فعاد اليهم الأحنف أيام ولاية عبد الله بن عامر على البصرة من قبل أمير المؤمنين عثمان ابن عفان فأعاد فتحها عام ٣٣ هـ . أما منطقة هراة فقد تولى إعادتها أوس بن ثعلبة عام ٣٢ هـ .

ثانية أيام معاوية ثلاث سنوات ، ثم صرفه عنها ، فأقام بالمدينة ، ومات بمكة عام ٥٩ هـ ودفن بعرفات .

(١) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية : أمير المؤمنين ، ثالث الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، ولد عام ٤٧ قبل الهجرة فهو أصغر من الرسول صلى الله عليه وسلم بست سنوات . تزوج رقية بنت رسول الله وبعد وفاتها تزوج أختها أم كلثوم . كانت في عهده فتوح واسعة ، وهو أول من زاد في المسجد الحرام ومسجد الرسول ، واتخذ دارا للقضاء ، وقدم الخطبة في العيد على الصلاة ، وأمر بالاذان الأول يوم الجمعة ، واتخذ الشرطة ، وقتل شهيدا عام ٢٥ هـ .

(٢) خراسان : منطقة واسعة تقع بين هضبة إيران وسفوح جبال هندكوش وتلال بلاد ما وراء النهر ، وهي اليوم ضمن ثلاث دول : ١ - أفغانستان : ومن مدنها هراة وبلخ .

٢ - إيران : ومن مدنها نيسابور .

٣ - تركمانستان التي تخضع للسيطرة الروسية ومن مدنها مرو حاضرة خراسان كلها وقتذاك .

(٣) طخارستان : المنطقة الأفغانية التي تقع شرقي مدينة بلخ ، وهي بلاد جبلية .

واغار عبد الرحمن بن محمد^(١) على مدينة كابل عام
٨٠ هـ أيام خلافة عبد الملك بن مروان^(٢) . وكان السكان
ينقضون العهد كلما رأوا من المسلمين شيئاً من الضعف ،
وأخيراً أعاد قتيبة بن مسلم الباهلي^(٣) فتح مدينة بلخ
عام ٨٦ هـ

وغزا العباسيون المنطقة عدة مرات ، ولكن قبضتهم
عليها كانت متراخية . ولم يأت منتصف القرن الثاني للهجرة
إلا وأصبحت المنطقة إسلامية .
ولكن الحكم الإسلامي الجامع لم يطل إذ بزغ قرن

(١) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي : عامل
الحجاج على المشرق ، ثم خصمه وقائد معركة دير الجماجم
ضده ، لجأ أخيراً إلى رتبيل ملك الترك فيما وراء سجستان الذي
قتله وسلم رأسه إلى الحجاج بعد تهديده من قبل الحجاج ، فنقل
الرأس إلى عبد الملك في دمشق وذلك عام ٨٥ هـ .

(٢) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ، أبو الوليد :
من أعظم الخلفاء ودهاتهم . نشأ في المدينة ، فقيها واسع العلم ،
متعبداً ، ناسكاً . وشهد يوم الدار مع أبيه . واستعمله معاوية
على المدينة وهو ابن ١٦ سنة . وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه
عام ٦٥ هـ فضبط أمورها ، وظهر بمظهر القوة ، فكان شديداً على
مخالفيه ، قوي الهيبة . واجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل
عبد الله بن الزبير . نقلت في أيامه الدواوين إلى العربية ، وهو
أول من صك الدنانير في الإسلام ، توفي في دمشق عام ٨٦ هـ .

(٣) قتيبة بن مسلم الباهلي ، أبو حفص : أمير فاتح ولد عام
٤٩ هـ ، وتولى الري أيام عبد الملك بن مروان ، وخراسان أيام
ابنه الوليد ، فتح بلاد ما وراء النهر ، وغزا تركستان الشرقية ،
ففتح كاشغر ، واستمرت ولايته ثلاث عشرة سنة . قتل أيام
سليمان بن عبد الملك الذي كان على خلاف معه عام ٩٦ هـ .

العصبية ، وقامت الدهوة اليها ، وبينما كان الإسلام يجمع الأمة كرجل واحد بدأت العصبية تجزئها ، فتفرقت ، وتقطعت أوصالها ، وما استحكمت العصبية في أمةٍ إلا فرقتهَا فرقا ، ومزقتها مزقا ، وجزأتها قطعاً ، وما تفرقت أمة إلا ذلت ، وما أصاب الذل أمة إلا سطا عليها أكثر أهل الأرض شراً ، وأقلهم قدراً ، وأحطهم أمراً .

أسس طاهر بن الحسين^(١) الدولة الطاهرية في مرو^(٢) ونيسابور^(٣) مستفيداً من العصبية الفارسية ، واستمر حكم هذه الدولة حتى عام ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م . ثم تلتها الدولة الصفارية^(٤) حتى عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م فالسامانية^(٥) حتى عام ٣٨٤ هـ /

-
- (١) طاهر بن الحسين ، أبو الطيب ، وأبو طلحة : من كبار الوزراء والقواد ، أدبا وحكمة وشجاعة ، ولد عام ١٥٩ هـ في بوشنج من أعمال خراسان ، وسكن بغداد ، فاتصل بالمأمون في صباه ، وهو الذي وطد حكمه ، وقتل الأمين عام ١٩٨ هـ - ٨١٣ م فتولى طاهر شرطة بغداد ، ثم ولاه خراسان عام ٢٠٥ هـ - ٨٢٠ م ، فلما استقر في خراسان قطع خطبة المأمون ، فقتله أحد غلمانه عام ٢٠٧ هـ - ٨٢٢ م ، وقيل مات مسموما ، ولكن استمر أحفاده يحكمون خراسان بأسم الدولة العباسية .
- (٢) مرو : مدينة في خراسان كانت عاصمة المنطقة ، وتقع اليوم في البقعة التي سيطر عليها الروس ضمن جمهورية تركمانستان .
- (٣) نيسابور : مدينة في خراسان تقع اليوم في إيران .
- (٤) كان الصفوريون يحكمون منطقة سجستان ثم امتد نفوذهم حتى شمل القسم الشرقي من الدولة العباسية كله .
- (٥) السامانية : أسس هذه الدولة أحمد بن أسد ، كان والياً للعباسيين على بلاد ما وراء النهر ، واستقل ابنه نصر في بخارى ، ثم امتد سلطان هذه الدولة الى بلاد الافغان .

٩٩٤م ، فالغزنوية^(١) حتى عام ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م ثم الغورية^(٢)
ودولة السلاجقة^(٣) والخوازرمية^(٤) والمغول^(٥) . ثم جاء

(١) الغزنوية : أسسها ألب تكين الذي دخل في خدمة السامانيين ، فولوه خراسان ، ثم اختلف معهم فذهب الى غزنة دولة هناك امتد سلطانها حتى شمل افغانستان كلها وأقليم البنجاب في حوض نهر السند . ومن ملوكها الفاتحين سبكتكين وابنه محمود المعروف بالغزنوي .

(٢) الغورية : ينسب الغوريون الى غور من أقاليم جنوبي افغانستان في جبال هندكوش ، ثم وسعوا حدود بلادهم ، وجعلوا عاصمتهم مدينة دهلي ، وفتحوا البنغال ، وسيطروا على الهند ، ولكن الدولة الغورية تفككت عراها بعد أيام السلطان غياث الدين بن سام ، وظل هذا التفكك زمنا طويلا حتى جاء المغول .

(٣) السلاجقة : فرع من الترك الطوقوز أو غوز قد هاجروا جنوبا بغرب من سهوب التركستان واجتازوا ما وراء النهر ، حيث اعتنقوا الاسلام ، ثم اخترقوا أنثذ فارس وبلغوا بلاد الجزيرة والشام ، ثم دخلوا في الاناضول ، وهناك جابهوا البيزنطيين ، وانتصروا عليهم ، واصبحوا سادة جنوب غربي آسيا جميعا ، ولهم السلطان الحقيقي على الدولة العباسية في بغداد .

(٤) الخوارزمية : فرع من الترك ابتداء نفوذهم في جنوب بحيرة خوارزم ثم اتسعت دولتهم على حساب السلاجقة الى ان جاء المغول ففقدوا عليهم .

(٥) المغولية : أسسها جنكيز خان الذي قدم من غرب الصين واجتاح بجحافل خوارزم واستولى على بلاد التركستان ، واستمر التقدم من بعده حتى وصل المغول الى بحر البلطيق في اوروبا ، كما أزالوا الدولة العباسية على يد سفاحهم هولاكو ، ولكنهم هزموا أخيرا امام المماليك . واستقروا في البلاد التي فتحوها وتأثروا بسكانها فاعتنقوا الاسلام في غربي آسيا ، ثم جدد دولتهم تيمورلنك .

الأوزبك^(١) والصفويون^(٢) والأفشار^(٣) ، وكلها تعتمد على
القبلية والعصبية .

هذه العصبية لم يكن لها أي مبرر ، ولم يكن لها أي
وجود لولا الأطماع الشخصية من الحكام الذين نادوا بها
ليسندوا بها حكمهم ، وليختلفوا بها عن الآخرين - فإذا
لم يختلفوا عن غيرهم فلا داعى لوجودهم - ، واسرع الحاكمون
آنثذ في أحياء لغات محلية اندثرت ولهجات إقليمية زالت
منذ أن جاء الإسلام بلغته العربية . واغدى هؤلاء الحكام
على الشعراء الأموال الكثيرة ، ونال العلماء أعطيات كبيرة
لقاء ما كتبوه في لغاتهم الخاصة ، وظهرت مراكز كثيرة

(١) الأوزبك : وهم جماعة من الترك كانوا آخر موجة من غزاة
البدو المحاربين القادمين من السهوب ، وقد قدر لهم أن يحكموا
ما وراء النهر ، ودانوا بالإسلام ، واستمروا في حكمهم المنطقة
حتى جاء الاستعمار الروسي .

(٢) الصفويون : وقد أنشأ دولتهم الشاه اسماعيل الصفوي سليل
الشيخ صفى الدين الأردبيلي الذي يقول عنه مؤرخوه أنه من
أحفاد موسى الكاظم سابع الأئمة في عقيدة الشيعة الاثني
عشرية . وكان حيدر والد الشاه اسماعيل شيعيا متعصبا ،
وقد أوجد لجماعته قلنسوة حمراء ذات اثنتي عشرة ذؤابة
رمزا للأئمة الاثني عشر ، ولهذا اسموا « قزلباشية » ،
واصطدموا مع العثمانية ، وقد دام حكمهم حتى عام ١١٤٩ هـ
١٧٣٦ م .

(٣) الأفشار : وقد أسس دولتهم طهماسب قولي خان الأفشاري ،
ومن أشهر مالوكهم نادرشاه وانتهت الدولة ١١٦٢ هـ - ١٧٤٩ م
بعد سيطرة القاجار الذين حكموا فارس حتى عام ١٩٢٥ . وقد
حاول نادرشاه أن يعيد مذهب السنة الى فارس .

للحضارة كلها تريد أن تضاهي بغداد مركز الخلافة الإسلامية فكانت مرو وغزنة وبخارى وسمرقند وغور ودهلي .

وانهارت تلك الدويلات الواحدة تلو الأخرى لأنه لم يكن لها مقومات الدولة ، فكلها تعتمد على العصبية ، فلا يكاد الأمر يستقر لها حتى تقوم غيرها ، ولا تكاد تطمئن حتى تضمحل وتزول . فالحكم كان يعتمد على قبائل صغيرة أحياناً ، فقامت في كل ناحية دويلة ، واستبد في كل جهة ملك ، وحكم في كل مدينة سلطان ينافس الآخرين ، يعلو عليهم تارة ، ويخضع لغيره أحياناً .

هذا التفكك الذي أوجدته العصبية لم يعد بالإمكان التغلب عليه ؛ فقد أنقلب الحكم إلى نزعات محلية وعصبيات موضعية ، وصارت المنطقة كلها هدفاً لغير ساكنيها ، ومطمعاً لغير أهلها . فقد اتجهت انظار الانكليز إلى البلاد فداهاها من جهة الجنوب ، وفي الوقت نفسه كانت روسيا تتجه من الغرب ، وتبتلع منطقة بعد أخرى .

وفي عام ١١٦٠ هـ / ١٧٤٧ م ، تولى أحمد خان الحكم منقذاً البلاد من الفوضى التي حلت بها بسبب تنازع المانول والصفويين وغيرهم عليها . وأسس أسرة حكمت البلاد وعرفت بإسم الأسرة الدورانية نسبة إليه تسمى (دري دورانية) أي درة العصر ، وكان مركز حكمه 'قند' هار إلا أن ابنه وخليفته تيمور شاه قد نقله إلى مدينة كابل

التي أضحت العاصمة منذ ذلك الوقت ولا تزال . وكان آخر ملوك هذه الأسرة شجاع الملك الذي طلب المساعدة من بريطانية ضد منافسة أسرة جديدة تزعمها محمد زائي . وقد مرت البلاد بأزمة عصبية منذ ١٢٠٧ هـ قامت إثر وفاة تيمور شاه حتى تم الأمر لمحمد زائي ١٢٥٠ هـ .

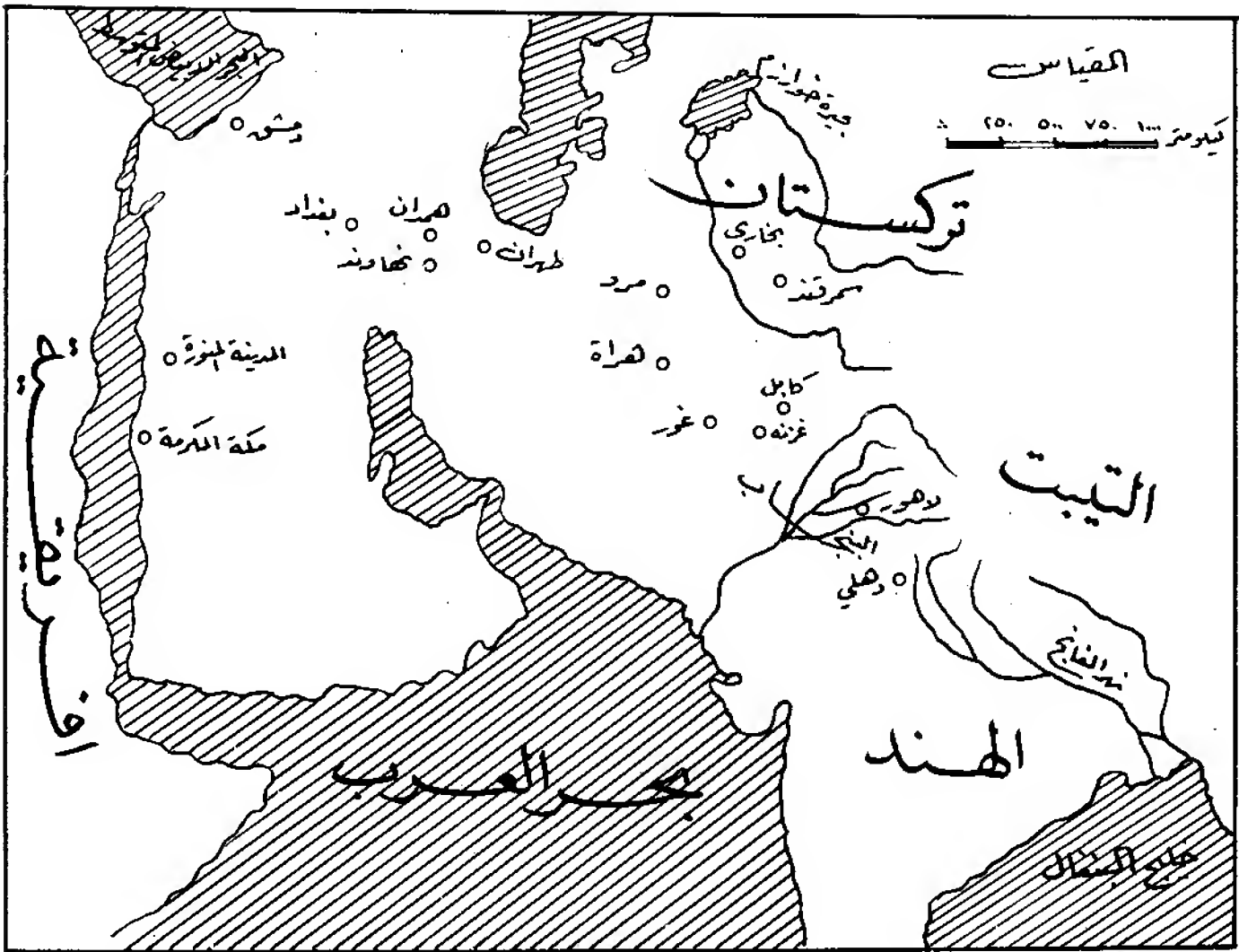
وقد خاضت بريطانيا حربين ضد الأفغان ، ووجدت مقاومة عنيفة ، ومنيت بخسائر كبيرة . وكانت أول هاتين الحربين ١٢٥٥ - ١٢٥٨ هـ / ١٨٣٩ - ١٨٤٢ م ، وقد خسرت بريطانيا فيها جيشاً كاملاً عندما انقضّ محمد زائي على الجيش البريطاني المنسحب عند حدود البلاد . ثم رأت أن تعقد معه معاهدة صداقة ، لكنها عادت فنقضت العهد ودخلت مدينة 'قندُهار' ١٢٧٢ هـ / ١٨٥٥ م ، ومدينة هراة ١٢٨٠ هـ / ١٨٦٣ م . وفي الوقت نفسه كانت روسيا قد أخذت جزءاً من خراسان عام ١٢٩٠ هـ / ١٨٧٣ م . وعقدت اتفاقية بين الروس والانكليز لجعل نهر جيحون حداً للتوسع الروسي وهذا ما جعل النفوذ الانكليزي يتوسع مما حدا بالسيد شير علي بن محمد زائي إلى طلب المساعدة الروسية ، وأدى ذلك إلى نشوب الحرب الثانية عام ١٢٩٥ - ١٢٩٦ هـ ١٨٧٨ - ١٨٧٩ م - وكان الروس قد سيطروا على تركستان الغربية كلها - وإذا خسر الانكليز في هذه الحرب أعداداً كبيرة من قواتهم إلا أن البلاد قد أصبحت تحت سيطرتهم

ولكن كراهية الأفغانيين للمستعمرين أجبرت الدخلاء أن يغادروا البلاد ، وبقيت بلاد الأفغان تحت حكم عبد الرحمن ابن أخ شير علي الذي ارتبط مع الانكليز بمعاهدة تقيد استقلاله .

لم تقنع بريطانيا بمعاهدة القيد هذه وقد لحظت ضعفاً من جانب حبيب الله الملك الجديد . فالحاكم الضعيف يطمع خصومه فيه ولو كانت قواته كبيرة وحصونه منيعة ، وإذا جنح للسلم أملى أعداؤه شروطهم ولو كان هو الأقوى وهو المنتصر . ولذا أمرنا ألا نطلب الصلح وألا نسعى وراءه ، بل إن على خصومنا أن يطلبوه وعندما يمكن أن نوافق ويمكن أن نرفض حسب الأوضاع التي نحن فيها قال تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله »^(١) لم يأمرنا تعالى أن نطلب الصلح بل إنه أذن لنا بالموافقة عليه إن طلب منا . إن القائد الذي يرفض الصلح^(٢) ، ويتمسك بأرائه ويصر عليها هو الأقوى ، وإن كتبت عليه الهزيمة في بعض المعارك ، وإن الجيش الذي يستعلي بأفكاره ويطلب الاستمرار في الجهاد إلى النهاية هو العزيز وإن كان النصر يلوح في جانب عدوه ، وعندما يرغب في الصلح وترك القتال تقل مهابته في عيون الآخرين فتقوى معنوياتهم

(١) الانفال ٦١ .

(٢) ولا صلح مع من يدخل أرضنا .



وتضعف معنويته وتلحق الخسارة به . وقد يكون الجيش قوياً صلباً ولكن أمره ضعيف الرأي لا عزيمة له فيبدو الضعف على الجيش كله فإذا ما استبدل بالقائد قائد آخر قوي استبدل الجند وانتصر الجيش وإن كانت الخطة هي نفسها ، والخصم هو ذاته ، والسلاح هو السلاح لم يتبدل ، وهذا ما ظهر في أفغانستان إذ دخل الروس البلاد متجهين نحو مدينة هراة فأسرع الانكليز وأوقفوا التقدم الروسي . وبمعاهدة رسمت الحدود تماماً بين النفوذين .

وتولى الأمر بعد عبد الرحمن ابن أخ شير علي ابنه حبيب الله وذلك عام ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م الذي كان مرتبطاً بحكومة الهند الانكليزية أيضاً ، ونتيجة لذلك فقد قتل حبيب الله ، واعتلى العرش نجله الثالث أمان الله ، فاتخذ لنفسه لقب ملك أفغانستان في عام ١٣٣٧ هـ / ١٩١٦ م ، إذ سار على سياسة الاستقلال أي عدم الارتباط بالسياسة الانكليزية فقامت الحرب بين الطرفين انتصرت فيها القوات الأفغانية بقيادة سردار محمد نادر خان ، واضطرت بريطانيا إلى الاعتراف باستقلال أفغانستان التام .

لكن هذا الملك الشاب غره السلطان ، وخدعته ابيه الحكم فترك شؤون البلاد وانصرف إلى الصيد وركوب الخيل ، وبهره تقدم أوروبا العلمي فأراد أن يحذو حذوها . وكان أكثر ما فتنته المظاهر الخداعة من لباس واختلاط

وسفور ومتعة - وحبذا لو أعجبه من أوروبا إقامة
المصانع وتطبيق العلم على العمل - ورأى شعبه الفقير
البائس وظن أنه يسير وراهه ، واعتقد أن سبيل دخول
المدينة إنما هو اللباس والزي ، فكان يزدري لباس قومه
وعاداتهم فكبره الشعب وبما زاد في كراهيته سوء الإدارة
الذي من شأنه أن يزداد على نطاق واسع عندما تكون
جفوة أو فجوة بين الحاكم والمحكوم ، وكثرة الضرائب ،
وفقر الشعب في الوقت الذي يظهر البذخ والترف في قصر
الملك وبيوت حاشيته . وتضايق الملك من صلة قائده
محمد نادر خان بالشعب ، فبعثه سفيراً له إلى فرنسا .

وقرر الملك القيام برحلة إلى أوروبا تستغرق وقتاً ،
وسافر عام ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨ م إلى بومباي وهناك استقبل
استقبالاً فخماً ، وظهرت نساء سافرات وفي أحدث الملابس
الأوروبية ، وكذا نساء حاشيته تتقدمهن زوجته ثريا ،
وشاع الخبر في البلاد فتعمقت الفجوة وامتدت جذور النقمة
حتى إن سفيره محمد نادر خان وهو من الأسرة الحاكمة
استقال من منصبه احتجاجاً على هذا المظهر . وكان الانكليز
من الذين روجوا لهذه الأخبار ونشروا الصور لغاية يريدها
وسياسة يتبعونها .

وعاد الملك أمان الله خان إلى قاعدة حكمه في كابل ،
وأصدر أوامره باتخاذ الزي الافرنجي ، وشجع على سفور

النساء ، وأرسلت بعض الفتيات للدراسة في استانبول
دون محرم .

إن الشعب الأفغاني الفقير الذي يحمل عقيدة الاسلام
والذي لم يتعود مثل هذا الأمر - وشديد على الانسان
ما لم يعود - قد هاله الأمر ، ولا يمكن للمرء أن يسكت
على ما يمس عقيدته فابتدأت الثورة . وإذا كان بعض
المخدوعين من الحكام يظنون أن الشعب الفقير يمكن أن
يسكت لذا عليهم أن يتبعوا سياسة الإفقار لضمان سكوته ،
وإذا كان بعضهم يظن أن مخالفة الشعب لبعض جوانب
الشريعة دليل على رضاهم عن المخالفة ، وإذا كان بعضهم
يعتقد أن الميل نحو الشهوة والسعي وراء المصالح والانحراف
في التيار والانحراف الموقت عن الطريق الصحيح دليل
لامكانية حمل الناس على سلوك الدرب التي يسلكها القائد .
فلا ريب في أن هذا هو التفكير الخاطيء لأن في الاسلام
قوة كافية إذا ما انطلقت عصفت بكل ما تجده أمامها ،
وإن في الشعوب الاسلامية طاقة كامنة إذا ما برزت
أطاحت بمن يقف في طريقها فكم من طاغية غرّ سكوت
شعبه فاذا بمحاذثة يسيرة شحنت المجتمع بعاطفة الدين
فانبعث يهدد كل جبار ، ويقضي على كل باغ .

اندلعت الثورة ضد أمان الله خان ، وامتد لهيبها على
المناطق الشرقية كافة ، فاستغل الأمر أحد قطاع الطرق

وهو باجي السقا (ابن السقا) ، واستولى على كابل ، وفر
أمان الله خان إلى مدينة 'قند'هار ، وهناك تنازل لأخيه
الأكبر عناية الله ، ولكن أنسى لهذا بالاستمرار والنقمة
عارمة فلم يلبث أن ترك الحكم ، وغادر البلاد إلى بريطانيا
ليعيش فيها ، وخلا الجو لابن السقا فأعلن عن نفسه
ملكاً على أفغانستان باسم « حبيب الله غازي » . وتسلطت
عصابته على البلاد والعباد ، وعاث أفرادها فساداً .

عاد محمد نادر خان إلى بلده ، واستطاع القضاء على
ابن السقا في نهاية عام ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م . وكان قد مضى
على حكم ابن السقا تسعة أشهر ، فأعدم شنقاً ، وقام محمد
نادر خان بأعباء الحكم ، فقدم خدمات واسعة للبلاد ،
وسار سيرة حميدة ، ففضى على الرشوة والفساد ، ولكنه
اغتيال عام ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م . على يد أحد أبناء الذين
شملهم الاعفاء من المنصب لسوء تصرفهم . واستلم الحكم
بعده ابنه محمد ظاهر شاه ، وهو شاب في التاسعة عشرة
من عمره ، وكانت حياته الأولى استمراراً لعهد أبيه ،
وحكم ما يقرب من خمس عشرة سنة على هذه الخطة ، ثم
بدأ طريق الانحراف عن الجادة ، وصارت تنفرج زاوية
هذا الانحراف حتى كانت النهاية .

كانت دول العالم الإسلامي وأمصاره قد وقعت تحت
نير الاستعمار والسيطرة الأجنبية إثر الحرب العالمية الأولى

وقبلها ، ولم ينبج منها سوى أفغانستان والجزيرة العربية .
وسعى الدخيل إلى نشر المفاسد واشاعة الرذائل فانتشر
السفور والحسور وعم الاختلاط ، وكان التقليد تقليد
الضعيف للقوي وليس الضعيف هو المغلوب وإنما الضعيف
نفسياً المنهزم فكريباً ، لأن الضعيف الذي هزم في المعركة
واستعلى بفكرته وتعالى بمبدئه فهو الذي يؤثر في غالبه ،
ويخضع الذي انتصر عليه لأفكاره فقد رأينا المغول وهم في
أوج قوتهم وعنفوان مجدهم يخضعون لآثر السكان ويدينون
بعقيدة المجتمع الإسلامي وهكذا كان أحفاد الطاغية هولاكو
مسلمين . ولكن الضعيف نفسياً هو الذي يشعر بالضعف
أمام رئيسه أو المسؤول أو حاكم بلده فيقلده شبراً بشبر ،
لقد بدأ التقليد بالاستقبالات ، وسارت نساء الموظفين الكبار
على غرار نساء الموظفين الأجانب والمستشارين ، وسرت
هذه العادة ، ووضع الذين يظنون أنفسهم أنهم عمالقة - وهم
أقزام - بناتهم في مدارس التبشير ومدارس المستعمرين وكان
الاختلاط وسرى في المجتمع حتى عم أو كاد .

ورأت المناطق التي نجت من الاستعمار ما حل بشقيقاتها
فاتخذت موقفاً سلبياً من التقدم العلمي ، ورفضت كل ما
جاء من هناك ، واستطاعت أن تقي نفسها أو تحمي مجتمعتها
ولكن إلى حين من الدهر ، ولا أقول إن المسلمين كانوا
عليهم أن يقفوا هذا الموقف السلبي كما أني لا أقول إن

عليهم أن يسيروا وراء تلك الخطوات الواسعة والآشواط
البعيدة وراء حضارة أوروبا وإنما أقول علينا أن نأخذ ما
يتفق مع مبادئنا وندع ما يتعارض معها ، نقلدها في العلم
 وإقامة المؤسسات وإنشاء المعامل وتطبيق العلم على العمل ،
 ونترك ما يفسد أخلاقنا ويسفه أحلامنا ويعيب مبادئنا .

ولكن أوروبا ومن سار وراءها من عالمنا قد أطلقوا
 اسم الرجعية على أولئك الذين وقعوا موقفاً سلبياً أمام كل
 ما جاء من أوروبا ، وكانت هذه الكلمة انذاراً خطيراً
 لهم فلما أن يثبتوا ولا يبالون بما تقوله الدنيا ما داموا
 يعلمون أنهم على حق وهذا ما يجب أن يكون موقفهم
 ليظهروا قوتهم وليوضحوا شخصيتهم وليميزوا أمتهم ، وإما
 أن ينحنوا أمام هذه الكلمة ويفتحوا بلادهم لكل فكرة
 تدخلها حيث تشاء ، وهذا موقف الضعفاء ، موقف
 المترددين الذين كانوا يخشون على أنفسهم فيقفون ذلك الموقف .

وجاء عام ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م وإذا بأفغانستان تفتح
 أمام الحضارة الأوروبية وتأخذ منها يحشع كل ما فيها من
 سوء ومن خير ، وليتخاص بعض زعمائها مما يعانون من
 ضعف أمام المد الفكري الاستعماري .

يقول أبو الحسن الندوي لقد أصبحت الأقطار الشرقية
 - من غير استثناء تقريباً - فريسة الحضارة الغربية في
 الزمن الأخير ، وانجرفت في سيلها العارم من غير امتناع أو

مقاومة ، لفقد العقل الراجح المتزن في القيادة وفقد عملية التمييز والاختيار الحكمة ، في الوجهين ، وعدم وجود التصميم أو التخطيط الحكيم في نظام المعارف وتنظيم البلاد تنظيمًا جديدًا قائمًا على التجارب الحديثة . وبسبب وجود نظم وأوضاع كانت نتيجة الانحراف عن التعاليم الإسلامية الصحيحة ، لا يقرها العقل والعدل ، ولا تصلح للبقاء في أي عصر من العصور فضلًا عن هذا العصر القلق الثائر .

وهذه قصة أفغانستان التي عرفت في الشرق بشدة محافظتها وتمسكها بالقديم والتقاليد الأفغانية القديمة ، فقد استطاعت أن تعيش بعيدة عن تأثير الحضارة محتفظة بترائثها القديم من ثقافة واجتماع تزهّد في الجديد الصالح حتى رفعت الحجاب بينها وبين الحضارة أخيرًا ، وبدأت تهجم على الحضارة الغربية وعاداتها وتأخذها بنهامة وشغف .

وقد حدثت هناك ثورة في الأوضاع في خلال ٣٢ سنة فالمجتمع الأفغاني الذي ثار على أمان الله خان الأمير المريق في الملك والشرف لأجل (اصلاحات) وتطويرات قام بها ، اضطرت له تلك الثورة إلى التنازل عن العرش والجلاء الدائم أصبح هذا المجتمع الأفغاني يقبل إلى المدنية الحديثة وأوضاعها المخالفة للتقاليد الإسلامية الأفغانية بخطى سريعة واسعة ، وأصبحت أفغانستان المحافظة المصونة تتطور تطوراً سريعاً لا يعرف أحد مداه ونهايته ، ويستطيع الإنسان أن يقدر

ذلك بما نقدم ، تقرير لأحد الصحفيين الأوروبيين ،
يقول المراسل الأوروبي الشهير Ritchie Coliler للصحيفة
الهندية الانكليزية Times of India وقد حضر عيد
الاستقلال الأفغاني عام ١٩٦٣ م في عددها الصادر - ٢٨
تموز ١٩٦٣ م - ١٣٨٣ هـ

إن الألعاب النارية الواسعة النطاق (التي لم أرها في
أفغانستان من ذي قبل) كانت تثير هتافات وتصفيقات
نصف مليون متفرج ، وهكذا كانت أفغانستان بأسبوع
عيد استقلالها ، وقال لي وزير خارجية أفغانستان (الذي
كان يجواري على المقاعد الملكية على شاطئ البحيرة حيث
كانت الألعاب النارية متواصلة مستمرة) إنك لم تحسن
الوقت الذي تزور فيه هذه البلاد نحن نحتفل الآن بعيد
الاستقلال ونحن في متعة وفرح لا نستطيع أن نتحدث
معك عن تفاصيل مشروعاتنا التقدمية لخمس سنوات .

قلت له : « يا صاحب المعالي ! إنها فرصة حسنة لائحة
وهي أفضل مناسبة لاختبار مآثر بلاد ومدى تقدمها ،
انني أريد أن أرى السيدات الافغانيات باسمات » وهنالك
تقدمت اليها فتاة أفغانية جميلة وابتسمت .

إن ذلك يلقي ضوءاً على مدى التطور الذي نشأ في
افغانستان أقوى من الأضواء التي كانت تنير كابل ،
بالتخطيط الكهربائي ومن مبانيها كلها والصناعات الحديثة

ومن الرقي المادي كله .

كانت نساؤها متمسكات بالحجاب قبل ثلاث سنوات ،
وإن سمح لهن أن يخرجن لمثل هذه المناسبات ، فكن يأتين
اليها متغطيات بالملاء والأردية التي تغطيهن من الأرجل إلى
الرؤوس ، ويخفي وجوههن القناع الذي فتحت منه ثقوب
للنظر .

ولكن الآن تغير كل شيء ويشاهد اليوم عدد كبير من
النساء اللواتي يشهدن الحفل مستترات بالأقنعة التي تميزهن
ولم يتعودن إلى الآن ان يكشفن عن وجوههن بحرية وانطلاق ،
ولكن الأغلبية الساحقة من النساء أصبحن سافرات .
يعسر على الذين يسكنون خارج أفغانستان أن يقدروا
مدى تأثير هذا التطور على نساء الأفغان ، وقد خلع العلماء
الملك أمان الله خان ، وحرّم عرش آبائه قبل ٣٢ عاماً
لأنه سمح لعقيلته أن تخرج سافرة^(١) .

بدأت نساء الأفغان يخرجن سافرات منذ عام ١٣٧٩ هـ
إثر منشور ملكي سمح للنساء بالسفور ولم يفرض ذلك عليهن
فرضاً^(٢) .

ويوجد التعليم المختلط في جامعة أفغانستان اليوم ، وكانت

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الاقطار
الإسلامية - أبو الحسن علي الحسيني الندوي ص ٢٢ - ٢٤

(٢) المصدر السابق ص ٢٥ .

الطالبات في السابق ، يأتين متغطيات بالأردية والملاءة الساتر
ويدرسن في الصفوف المنقطعة عن الطلاب^(١) .

والإسلام لم يحرم تعليم النساء كما يزعم ذلك بعض أعداء
الإسلام والجاهلين من أبنائه ، وإنما جعل تعليمهن واجب
ولكنه تعليم يكيف وفق طبيعتهن ومهمتهن الأساسية في
المجتمع [وإذا كان التعليم الديني يأتي بالدرجة الأولى]
أن بقية العلوم تأتي بالدرجة الثانية ، وأهمها ما يتعلق
بطبيعة المرأة والأعمال التي يمكن أن تمارسها بفطرتها أو
للضرورة] .

إن من طبيعة الرجل أن يكون مؤهلاً للعمل
وقطع أشجار الغابة وفتح الأنفاق وسياسة البلا
وقيادة الجيوش وتحمل المصاعب وتجشم المخاطر
ومن طبيعة المرأة أن تعمل في تنشئة الجيل والتعليم والخياطة
والطب النسائي والتمريض . وكما أن الرجل تصعب عليه
حضانة الرضع فإن المرأة يشق عليها السير في الصحاري
مع القوافل وغيرها من الأعمال التي تنسجم مع فطرة الرجل
وإذا كانت بعض الأصوات ترتفع داعية لخروج المرأة
إلى العمل ، وترك مسؤولية البيت إلى الخدم فإن هذا
يتعارض مع تعليم المرأة بالذات فنحن نريد أن يتعلم
جميعاً لا أن تكون طبقة متعلمة وأخرى جاهلة تنصرف

(١) المصدر نفسه ض ٢٦ .

الى الخدمة ليتسنى لتلك أن تترقى في المناصب على حساب
 المنزل الذي يتعرض بخروجها منه إلى الضياع . وليس في
 لاسلام طبقات لكل طبقة ميزات وأعمال خاصة تزاو لها .
 ولما كانت هناك ضرورات تحوج المرأة إلى العمل فان
 لها أعمالها الخاصة التي يمكن أن تمارسها فالبيع والتعليم
 والتعريض والطب ضمن شروط منها : الحشمة وعدم
 لاختلاط والساعات المحددة التي تخرج فيها من بيتها .
 فالتعليم لا يصح أن يكون مختلطاً ، ونصاب المعلمة يجب
 أن يكون بقدر نصف نصاب المعلم تقريباً كي لا تغيب عن
 بيتها سوى هذا الأمد القصير ثم تعود اليه بعدها لأن
 الأطفال لا غنى لهم عنها في رعايتهم وتربيتهم ، وفي الوقت
 نفسه نستطيع أن ندفع إلى العمل ضعف عدد النساء ونعمل
 بالتالي ضعف عدد الأسر، والمرأة بمسؤوليتها المادية محدودة
 أمام مسؤولية الرجل الملقى على عاتقه الجانب المادي بأكمله .
 أما الأعمال الأخرى من سياسية واقتصادية وإدارية
 وصناعية فهي من اختصاص الرجل ولا يجدر بها أن
 تنافس عليها لأننا إن فعلنا أوجدنا عدداً من العاطلين عن
 العمل وبالتالي جعلنا عدداً من الأسر فقيرة بحاجة إلى
 معونة ومساعدة لأن رجالها لا يجدون عملاً ، وبدلاً من
 أن نخفف البطالة ونقلل من الحاجة نكون قد زدنا فيها
 أو سعيناً في تفاقمها وخاصة إذا علمنا ان أكثر النساء

العاملات ينفقن مرتباتهن على الكماليات والظهور الخاص بهن
حسب أهوائهن وبالتالى لا يعود على البيت من المال إلا
القليل بينما نرى الرجال الملقى على كواهلهم أمر الأسرة
المادي لا عمل لهم .

واستمر حكم محمد ظاهر شاه حتى قام انقلاب ضده
يتزعمه ابن عمه السردار محمد داود^(١) يوم الثلاثاء ١٧ جمادى
الثانية ١٣٩٣ هـ / ١٧ تموز ١٩٧٣ م ، وقد أعلن الانقلاب
قيام الجمهورية والغاء النظام الملكي .

السكان : يقيم على أرض افغانستان التي تبلغ مساحتها
٦٥٠,٠٠٠ كيلو متراً مربعاً أكثر من ١٩,٠٠٠,٠٠٠ نسمة
وهو عدد قليل بالنسبة إلى هذه المساحة الواسعة ، لذا
تعدّ من البلاد قليلة الكثافة إذ لا تزيد على ٢٨ شخصاً
في الكيلو المتر الواحد وذلك بسبب كثرة المرتفعات التي
تشغل أكثر من ٨٠ ٪ من المساحة العامة للبلاد إضافة إلى
المناطق الأخرى شبه الصحراوية التي تشكل مساحات

(١) السردار محمد داود : ابن عم الملك وزوج شقيقته
ضابط في الجيش الافغاني ، درس في مدينة كابل ، وأتم دراساته
العسكرية في فرنسا . عين عام ١٩٢٢ م حاكماً على مقاطعات
قندهار أيام محمد نادرشاه . وفي عام ١٩٣٧ م عين قائداً لقوات
المنطقة الوسطى ومديراً للملكية الحربية . استلم رئاسة الوزارة
١٩٥٣ م بالإضافة إلى وزارتي الداخلية والدفاع ، واستمر في
حكم البلاد مدة عشر سنوات أي حتى عام ١٩٦٣ م نحي عن
الحكم ، ثم قاد انقلاب ١٩٧٣ م ضد ابن عمه الذي كان غائباً
عن البلاد في رحلة على الشواطئ الأوروبية .

واسعة أيضاً ، وان مهنة الرعي التي يمتثلها ٤٠ ٪ من السكان لا تساعد على الازدهار كما هو شأن الزراعة الراقية أو الصناعة أو التجارة .

وإذا كانت أفغانستان من البلاد التي تكثر فيها الولادات شأنها في ذلك شأن بقية الأمصار إلا أن نسبة الوفيات ترتفع أيضاً بسبب تأخر الناحية الصحية إذ لا تزال البلاد في أول عهدها في التقدم العلمي كما أن قسوة المناخ والعوامل الطبيعية تلعب دوراً هاماً في هذا المجال .

وتبلغ الزيادة السنوية ١٢ بالألف وبهذا يزداد السكان ١٩٢,٠٠٠ نسمة في كل عام ، ويرتفع سكان البلاد مليوناً كل خمسة أعوام .

المجموعات الجنسية : ليست هناك أية قيمة أو أفضلية للانتماء لمجموعة جنسية معينة فالناس سواسية كأسنان المشط ، ولا فضل لأحد على آخر إلا بالتقوى ، وأكرم الناس عند الله اتقاهم ، وإذا كنا نتحدث عن المجموعات الجنسية في بلد من البلاد فما ذلك إلا للتعرف والتعارف « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم » .

ولما كانت أرض أفغانستان بهذا الموقع الذي تشغله في أواسط قارة آسيا ملتقى لعدد من الطرق البرية ، وفيها كثير من الفجاج التي تسلك ، وعدد من الممرات التي تطرق

والشعاب التي تتبع من المنطلقين نحو الجنوب الشرقي أو المتجهين نحو الغرب لذا فقد استقرت فيها مجموعات متعددة قدمت مع الفاتحين أو جاءت مع الغازين أو لجأت إليها تتخذ من مرتفعاتها ملجأ بقيها من أعدائها أو مانعاً يحول دون وصول خصومها إليها وأهم هذه المجموعات :

١ - البوشتن Pushtuns : كما يطلق عليها أيضاً البوختن ويشكلون ٦٠ ٪ من مجموع السكان ، ويمثلون خليطاً من العناصر التركية والایرانية ، كما انهم يتجمعون في المناطق الواقعة جنوب جبال هندكوش ، كما يتواجدون في المناطق الواقعة في شمالها ، وهم يعملون في الزراعة كما يمتهنون الرعي ، ويمتازون بالقامة الطويلة ، ولون البشرة الأسمر ، والشعر الأسود المموج ، وقد اعتادوا تحمل المشاق بسبب طبيعة بلادهم ووعورة جبالها . وتقيم بعض القبائل منهم في باكستان أو ان الحدود الاصطناعية قد فصلت مواطن هذه المجموعة بعضها عن بعض فجزأتها ويعرفون هناك باسم قبائل الباتان . ومن أشهر فروع البوشتن في أفغانستان « الغلزة » وهم من فرع الجنوب وبسبب ميل لون هؤلاء إلى البياض فقد ظن بعضهم أنهم مجموعة خاصة تختلف عن البوشتن .

٢ - الطاجيك : وهم عناصر إيرانية ، يمتازون بالقامة المتوسطة ، ويسكنون الوديان العليا من إقليم « باداخشان »

وفي السهول العليا في وسط البلاد حتى الغرب حيث يعمرون
السهول الغربية حول مدينة هراة ، ويشكلون ٣٠ ٪ من
السكان ، ويعملون في الزراعة والصناعة والتجارة .

٣ - الأتراك : وهم امتداد لسكان تركستان الغربية ،
حيث نجد الأوزبك الذين يشكلون ٥ ٪ من مجموع سكان
أفغانستان ، والتركمان وهم يقيمون على الضفة الجنوبية لنهر
جيمحون والقيرغيز الذين ينتقلون في هضبة بامير ويرعون
الأغنام والماعز وحيوان الياك ، وبالقرب من هذه القبائل
يقيم القوزاق أيضاً وهم من المجموعة نفسها .

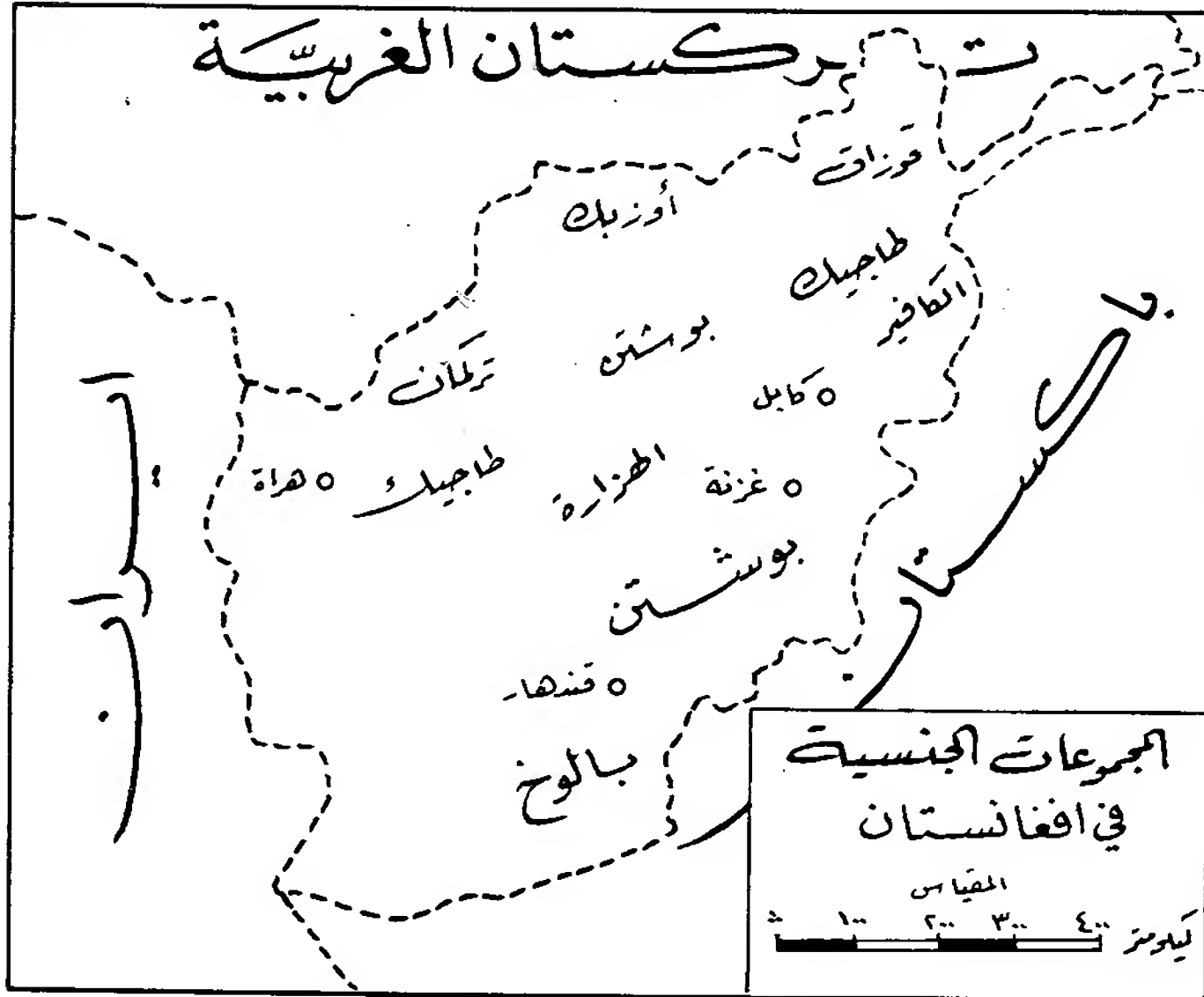
٤ - الهزاراة : وقد انحدروا من أصل مغولي ، وعددهم
قليل يقرب من ٦٠,٠٠٠ ساكن ، وموطنهم هو المرتفعات
الوسطى ، وهم يتبعون المذهب الشيعي ، ويشغلون في
الرعي والزراعة .

٥ - البالوخ - وهم في الجنوب ، ويعتقد انهم من أصل
عربي ، والقليل من البالوخ يقيم في أفغانستان ، وأكثرهم يقيم
في باكستان في إقليم بلوخستان المجاور لأفغانستان .

٦ - الكافير : ويقيمون في الشمال الشرقي ، ويعرفون
باسم النوريين بعد أن تحولوا إلى الاسلام في بداية هذا القرن
وكانوا من قبل يتبعون البوذية .

وهناك مجموعات قليلة في البلاد من العرب والهنود
والصينيين .

تركستان الغربية



الجموعات الجنسية
في أفغانستان

المقياس
ك.م ٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠

والملاحظ أن هذه الأصناف من القبائل على اختلافها
يوحد بينها الاسلام ، فأفغانستان تدين كلها به .

اللغة : تعتبر (البشتو) لغة قبائل البوشتن - وهم
أكثرية سكان البلاد - هي اللغة الرسمية . وتليها اللغة
الفارسية لغة قبائل الطاجيك الذين يحتلون المرتبة العددية
الثانية ، وإن كانت الفارسية هي المستعملة في الإدارة
والتجارة والثقافة لما لها من ماضٍ حضاري . ولكن ٤٠ ٪
من كلمات اللغة المستخدمة هي من أصل عربي سواء أكانت
لغة البشتو أم كانت اللغة الفارسية ، كما أن كلتا اللغتين
تكتبان بأحرف عربية .

وتحتل اللغة العربية مركزاً مرموقاً في الدراسة ، لأنها
لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والفقه وهي
إضافة إلى أنها تشكل مادة أساسية لمعرفة أصول اللغة
الأفغانية فهي تدرس في جميع المدارس على أنها جزء متمم
لتدريس التفسير والحديث والفقه .

وتقوم بعض المدارس على تدريس مادة اللغة العربية
فقط مثل دار العلوم في كابل ، وفخر المدارس في هراة ،
ونجم المدارس في جلال آباد ، ومدرسة لمختارستان في
فيض آباد . كما أن الحكومة الأفغانية قد أسست مدرسة
العلوم الشرعية في مدينة نهمان على مقربة من كابل التي
تعد مصيفاً لها ، وتعتمد هذه المدرسة تدريس العربية فقط .

وتسود اللغة التركية خراسان والقبائل التي تنتمي إلى أصل تركي .

وهناك لغات محلية مثل لغة الهزارة والبالوخ .

الدين : كانت البوذية هي الديانة السائدة في أفغانستان قبل انتشار الاسلام . أما اليوم فإن أكثر من ٩٩ ٪ من السكان يدينون بالاسلام ، ومعظمهم من أهل السنة والجماعة وعلى مذهب الإمام أبي حنيفة حتى أن الطاجيك الذين هم من أهل السنة - وإن تشيع إيران ليس عريقاً تماماً ، فقد كان المذهب السني الذي يسود بلاد الفرس كما نعلم - مع العلم أن الطاجيك الذين يعيشون في الأراضي التي تحتلها روسيا والذين يجارونهم هم على المذهب الشيعي . ولكن الهزارة في أفغانستان وعددهم قليل كما ذكرنا ينتسبون للمذهب الشيعي^(١) .

ويوجد عدد قليل جداً من الهندوس والسيخ .

وينص الدستور الأفغاني - قبل الانقلاب الأخير - على أن الدين الاسلامي فقط هو مصدر التشريع الوحيد لسن القوانين وأنه متى وجد نص في أي قانون يتعارض مع

(١) يعدّ محمد خدابنده (اولجاتيو) من الاسرة الايلخانية أول من نشر المذهب الشيعي في إيران سنة ١٣٠٤ م ، واولجاتيو هو ابن ارغون بن اباقا بن الطاغية هولاكو . ثم ضعف أمر الشيعة حتى أعاده الصفويون مذهباً رسمياً للدولة . وقد حاول نادر شاه - كما مر معنا - إعادة مذهب أهل السنة إلا أنه فشل .

أصول الدين الاسلامي فان هذا النص يعدّ ملغى ولا يجوز العمل به .

المسكن : بما أن الأمطار قليلة وفصل الجاف طويل في أفغانستان فإن المدن والقرى فيها تقام على طول الأودية ومجاري المياه الفصلية وذلك من أجل الحصول على المياه للشرب وسقياً للحيوانات حيث تتجمع المياه في المناطق المنخفضة أو تخرج بعض الينابيع الكافية من أطراف الوادي وعلى السفوح المشرفة عليه ، ثم من أجل إمكانية الزراعة حيث تكون التربة مشبعة بالمياه أو يستفاد من مياه العيون القليلة والآبار التي تحفر حيث تكون المياه الجوفية على بعد يسير من سطح الأرض . وليس هناك من فرق كبير بين القرية والمدينة ، فليست هناك مدن بلغت شأواً واسعاً في المدنية أو وصلت إلى منزلة عالية في مجال التقدم كما أنه لا توجد قرى متخلفة جداً تعيش كأنها في عهود بائدة . فقد دخلت المدنية المنطقة وأخذت البلاد بأسبابها على مستوى واحد تقريباً إلا أن عدد السكان له أثره في إقامة مؤسسات تعليمية أو اجتماعية يملؤها سكان ذلك التجمع البشري .

وإذا كنا نعرف أن القرى الجبلية تبني عادة بالحجارة لتوفرها فإن أكثر القرى الأفغانية تبني بيوتها من الطين أو الآجر لكونها في الأودية حيث يتوفر الطين وتتحلل

الرواسب والمجروفات . أما السقوف فتكون من أشجار
الأرز وتصنع من أخشابها أيضاً الأبواب والنوافذ ، وصعوبة
المواصلات لا تزال تقف عائقاً في إمكانية النقل
وحمل المواد من مكان لآخر وهذا هو السبب في الاكتفاء
بمواد البيئة المحلية .

وتكون البيوتات متسعة سواء في المدينة أم الريف ،
وبهوها الواسع مسقوف بسبب البرد الشديد لكون المنطقة
مرتفعة ، ويوصل من البهو إلى الغرف المتعددة التي تبنى
على جوانبه ، وفي وسطه يقام التنور على مرتفع ، ويتكون
من طابقين توضع في الأسفل منها أعواد الحطب وقطع
الخشب وقوداً ، وله باب يوصد بإحكام ، ويتصل بهذا
الطابق فتحتان إحداهما يخرج منها الدخان خارج البيت
وتكون أكثر علواً من الثانية التي يدخل الهواء منها لاستمرار
عملية الاحتراق .

أما الطابق الأعلى فهي لنضج الخبز الذي يتم يومياً
تقريباً ولنضج قدور الأطعمة المختلفة واللحوم ولما كان التنور
وسط البهو المسقوف فإنه يكسبه دفئاً ، وتستدفع بالتالي
الغرف المحيطة به ، وكثيراً ما يستعمل هذا البهو للنوم
بسبب الدفء ، هذا في الشتاء أما في الصيف فالنوم غالباً
على أسطح المنازل .

وتفرش الغرف بالحصر والسجاد الذي تشتهر به

أفغانستان وذلك حسب إمكانات صاحب الدار ومركزه الاجتماعي . وتكثر في البيوت الألبسة الصوفية والأغطية السمكية التي تستعمل في فصل البرد .

وبجانب الدار حظيرة الماشية التي قلما يخلو منها بيت والتي قلما لا تملكها أسرة أفغانية وهي عدد من رؤوس الأغنام أو الماعز وبقرة أو اثنتان وعدد من الدواجن . أما البدو فمساكنهم الخيام التي تنسج من الصوف أو الوبر أو الشعر ، وتفرش في داخلها كما تفرش البيوت تماماً ، ومدافئها شتاءً هي الأواني الفخارية التي توضع وسط الخيمة والتي تضرم فيها النيران وفي وسط الخيمة في الأعلى كوة يخرج منها الدخان .

أما المدن فقد شملها الفن المعماري الحديث فقامت الأبنية الفخمة وفتحت الشوارع الواسعة ذات الحدائق الجميلة هذا بجانب البيوت القديمة والأزقة الضيقة والأسواق المسقوفة التي تماثل كافة المدن القديمة الشرقية .

اللباس : ويرتدي أهل الريف والقبائل السروال الفضفاض الذي ينسج من القطن الأبيض وقيصاً طويلاً سابغاً من النسيج نفسه ، كما يلبس فوق القميص في الشتاء صدرية من الصوف أو الجلد تزركش أحياناً وتحلّى أحياناً أخرى . وعلى الرأس توضع العمامة التي تتدلى أطرافها أحياناً على جانب رأس صاحبها . ويعمد الأفغاني في الشتاء

إلى ارتداء الألبسة الصوفية الثقيلة والعباءات والمعاطف
وتكون من الصوف أو الفراء أو الجلد . والفراء المفضل
عندهم هو الذي يؤخذ من الغنم المسمى « كرا كول » . وأما
في المدن فقد ابتدأت الألبسة الأفرنجية تعم ، ويوضع على
الرأس قلنسوة من فرو الكرا كول .

العادات : إن الحياة القبلية كالحياة في الريف تستدعيان
الكرم كما تتطلب أولاهما النجدة وحماية من يلوذ بالفرد
أو بالقبيلة . فما دام الانسان ينتقل ويرتحل فانه معرض أن
يبعد خارج منزله أو في مكان بعيد عن منطقته حيث لا يوجد
إلا بيوت الآخرين مأوى له فلا مطاعم ولا أماكن للمبيت ،
وبمقدار ما يكرم المرء الآخرين عندما يحلون عنده يجد
الترحيب والاكرام عندما ينزل بلدة أو يحل في كنف
قبيلة لذا يحرص كل فرد أن يكون كريماً ليحفظ لنفسه
يوماً يلجأ فيه إلى غيره ، بينما تفقد هذه الأمور قيمتها في
المدينة حيث يجد الانسان المكان الذي يأوي اليه والمطعم
الذي يتناول فيه ما يشتهي .

ولما كانت أكثر الحياة في أفغانستان ريفية أو قبلية
فاننا نلمح هذا الكرم ظاهراً في كل مكان ونرى نجدة من
يطلب الحماية عند كل قبيلة ، بل ان القصص المتوارثة عندهم
مدعاة للفخر والتقليد في إغاثة الملتجئ واکرام الضيف ، والقصة
الشائعة عندهم تمثل هذا الخلق ، وذلك أن السلطان محمود

الغزنوي^(١) قد خرج ذات يوم للصيد والقنص ، وبينما كان يجرد في السير ، وقد امتطى صهوة جهواده الأشهب الأصيل ، أبصر غزالاً من نوع جيد نادر ، فأخذ يطارده من مكان لآخر ، واستطاع بعد لأي أن يسدد اليه سهماً أصابه إصابة بالغة . بيد أن الغزال واصل العدو لينجو بحياته واستمر السلطان يطلب صيده . وما لبث الغزال أن خارت قواه لكثرة ما نزل منه من دم ، فلبجأ إلى إحدى الخيام التي صادفها أمامه وقد هدّه الإعياء والنصب . أما السلطان فقد سرّ لذلك وظن أنه قد أدرك مبتغاه ، وأقبل مسرعاً على الخباء ، وفي عزمه الإمساك بالغزال الجريح . ولشد ما دهش السلطان حين رأى صاحب الخيمة - ولم يكن سوى راعٍ بسيط - يقف بالباب ، ويمنع الداخل إليها . واشتد غضب السلطان من هذه الجرأة والقحة ، وخاطب الراعي متسائلاً في عنفٍ وخشونة : « من تكون أيها الرجل ؟ وماذا تعني بهذا العمل الطائش ؟ أغرب عن وجهي وإلا قضيت على حياتك في التو والساعة » بيد أن الراعي أجاب في هدوء وتؤدة « إنني لن اسمح لك يا سيدي

(١) محمود الغزنوي : محمود بن سبكتكين الغزنوي ، السلطان يمين الدولة أبو القاسم ابن الأمير ناصر الدولة أبي منصور : فاتح الهند ، وأحد كبار القادة ، كانت عاصمته غزنة ، وفيها ولد ، وفيها مات ، مات أبوه عام ٣٨٧ هـ وخلف ثلاثة أولاد ، هم : اسماعيل ومحمود ونصر . وجرّت بينهم حروب ، ظفر بها محمود ، واستولى على الإمارة ٣٨٩ هـ وتوفي عام ٤٢١ هـ .

بدخول خيمتي . لقد احتفى الغزال ببיתי . انه الآن يقيم
في كنفني ، وقد وجب عليّ حمايته جرياً على تقاليدنا ،
مهما كلفني الأمر من تضحية وفداء . فقال السلطان في
حنقٍ شديد : « ألا تعلم أيها الرجل أنني السلطان ، وعليك
إطاعة أوامر من غير مجادلة أو تسويف » ... فقال
الراعي في اتزان : « مهما يكن من شأنك أيها السيد العظيم
فإن التقاليد الوطنية يجب أن تبقى دائماً موضع الاحترام
والتقدير ، وتستطيع أن تختار ما شئت من غنمي ،
ولكن لن أسمح بالحق الأذى بضيفي الغزال ما دام في
خيمتي . وإن كنت سلطان البلاد حقاً ، وجب أن تكون
أحرص الناس على احترام عاداتنا » فلما سمع السلطان رد
الراعي تركه وشأنه ، وعاد يفتش عن صيد آخر .

هذه الحماية واجبة حتى لو كان الملتجئ أحد المجرمين
أو قطاع الطرق ، فيروون وبكل اعتزاز أن جماعة من
قطاع الطرق أغاروا على أحد الأرياف فهب السكان
يدافعون عن أنفسهم وممتلكاتهم ، وتختلف عن النجدة امرأة
عجوز وقفت على باب دارها تنتظر عودة أهل البلدة ومعهم
ابنان لها هبا للدفاع عن القرية . وجرت معركة بين
الطرفين ، فرّ إثرها اللصوص بعد أن فتكوا بعدد من
السكان ، ولكن أحيط باثنين منهم لم يجدوا طريقاً للخلاص
فاضطروا للالتجاء إلى بيت تلك العجوز طالبين الحماية

والأمان ، فما كان من المعجوز إلا أن أوصدت عليها الباب
حماية لهما ، ومنعت الوصول اليهما ، فخاطبها الناس الهائجين
ألم تعلمي أنهما قتلا ولدك ، فأجابت : « قد يكون هذا
صدقا وحقا ولكنها الآن في حمايتي وداخل بيتي فلن أسمح
أن يصيبهما أذى ولا أن يمسهما أحد سوء » .

والرجل الأفغاني لبق في معاملته مع الآخرين متأدب
مع الناس جميعا ، قليل الضحك ، لا يرتفع صوته اثناءه ،
متمسك بدينه ، متسامح مع من يخالفه ، صبور يتحمل
المشاق ، ويصبر على النوائب ، ويصبر أمام الفقر والمرض .
فإنك لا ترى هناك سائلا مهما كان محتاجا ، وإن حدث
فإنما يقف أمامك لتعطيه أو تدعوه . كما انه مستعد لتجشم
المخاطر وإظهار أكثر أنواع الشجاعة والبطولة . والمرأة
مصونة بحجة عدا قلة ظهرت في البلاد حديثا .

ويحب الأفغاني صيد الطير وقنص الحيوان ، ويستعمل
في ذلك البزاة والكلاب ، كما تنتشر عندهم المراهنة على
مصارعة الكباش لكنها تحصل سرا لأن المراهنة لا يبيحها
القانون ، وإن ركوب الخيل من العادات المفضلة ولطالما
جرت بين الفرسان مصارعة من أجل الحصول على ذبيحة
من الغنم بين الطرفين توضع في حفرة والفارس المجلّى هو
الذي يستطيع اختطافها والنجاة بها من بين صفوف الخصم
ثم يحول فيها دورة ويعيدها إلى مكانها الأول في الحفرة .

التعليم : كانت المعاهد الدينية في السابق هي التي تتولّى شؤون التعليم ففي كل مسجد مدرسة تعليم القرآن والحساب ومبادئ القراءة وكذا في كل حي . ثم أنشئت دائرة المعارف عام ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٦ م ثم قامت وزارة التعليم عام ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م ، وعدت كل مدارس المساجد والأحياء تابعة لها فكانت نواة لبداية العمل ، وانتظم التعليم بعد ذلك ولا تزال نسبة المتعلمين قليلة إذ لا تزيد على ٢٠ ٪ بالنسبة إلى الذكور ذلك بالنسبة للناث . وقد أسست كلية للبنات في كابل عام ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م .

والتعليم الابتدائي اليوم إلزامي ومجاني ، أما الثانوي فهو مجاني أيضاً . وتفتتح الدولة مدرسة لكل بلدة فيمـ ثمانون طالباً يمكنهم الانتظام في المدرسة والمداومة على تلقي العلم . ولا يزال عدد المدرسين قليلاً لا يسد حاجـ المدارس وكذا المدرسات .

وتقوم الجمعيات بدورها في التعليم ، إذ توجد مؤسسـ خيرية نسائية في مدينة كابل لمكافحة الأمية ، وافتتحت عدة صفوف إلى تعليم أمور الخياطة والحياكة والأشغال اليدوية والطهو وتدبير المنزل .

والذي يخشاه العقلاء أن يكون التعليم الجديد — عـ مافيه من جوانب خير — قاصراً عن الوفاء بحاجة شعب مسـ يريد الحياة القوية العزيزة التي تبنى على الإيمان وتسير عـ

الاستقامة وتتطلع إلى الجهاد والتضحية ولا ترضى بما هو دون الجنة . وقد أثر في هذا عن جمال الدين الأفغاني أنه قال : لو أن التعليم الحديث كان قائماً في الأفغان عندما حصلت الحرب بين انكلترا والأفغان التي خرجت ظافرة لو كان ذلك التعليم قائماً لما تحققت هزيمة الاعداء . وهذا أمر يدعو كل مسلم إلى أن ينظر في التعليم الشائع نظرة فحص واختبار .

الصحة : إن الأحوال الصحية متأخرة ، وقد أنشئت مدرسة للتمريض عام ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م ، كما أسست مدرسة طبية في كابل تخرج سنوياً ما يقرب من ٣٠ طبيباً ومدة الدراسة فيها خمس سنوات ، ولكن لا يكفي الحاجة المتزايدة إلى الطب .

ويوجد في البلاد ما يقرب من ٦٠ مشفى يعمل فيها ٣٠٠ طبيب . أما الصيدليات فتوجد في المدن ومراكز المقاطعات كافة . ولكن الأرياف تسكاد تخلو من الوسائل الصحية ، وإن صعوبة المواصلات تشكل عقبة كأداء في وجه الانتقال للحصول على العلاج اللازم .

الزواج : لا تزال المرأة الأفغانية محافظة على سلوكها وسيرتها في الحشمة والآداب ولباسها والحجاب ، متدينة تحافظ على شعائرها وعبادتها ، غير مبتذلة ، تسهر على تربية أولادها تربية صحيحة . ويفضل الأفغانيون الزواج

المبكر ، وقد حدث الممور خلافاً للقاعدة العامة ، وأصبحت رمزية لا تزيد على ما يعادل أربع ليرات لبنانية على أن يتولى الرجل تأثيث البيت كل حسب طاقته . وقد كانت المهر مبالغاً فيه مما أدى إلى حدوث أزمة في الزواج .

وقد جرت عادة الناس هناك أن تقام حفلة واحدة لعقد القران والزفاف بعيدة عن مظاهر البذخ والإسراف ، كما أنها بعيدة عن الاختلاط . ومن التقاليد المتبعة في المدن أن يجتمع العروسان لأول مرة ليلة الزفاف أمام مرآة حتى لا يقع نظر أحدهما على الآخر مباشرة ، ومعهما نسخة من القرآن الكريم لذلك يدعى هذا اليوم آية المصحف . ولا يمكن أن يوجد أي رجل في هذا الحقل ، وإما يصطف أطفال الأسرتين على شكل دائرة يحملون بأيديهم الشموع الملونة والورود .

ويتم الزواج بين أفراد القبيلة الواحدة أو العشيرة ما أمكن ذلك . وإذا ما طلب أحد فتاة من غير قبيلته ، ورفض والد الفتاة المصاهرة بعد توسط شيوخ القبيلة فإن ذلك يعدّ إهانة صارخة ، وقد يحدث قتال مرير بين القبيلتين نتيجة ذلك الرفض .

وعندما ترزق الأسرة مولوداً تعم البهجة ويسود السرور ويسرع رجال العشيرة إلى بيت أسرة الوليد ببنادقهم يطلقون الرصاص في الهواء احتفاءً بالمولود الجديد . كما أن

أحد الشيوخ الذين عرفوا بالتقوى يؤذن في اذن المولود اليمنى اتباعاً للسنة . ويكون الختان مبكراً وله وليمة خاصة ، فاذا بلغ الوليد عامه الأول حلق شعره^(١) ، كما أن هناك حملة ثانية عند ختم القرآن الكريم وهي ذات أهمية خاصة .

ولما كانت حياة الرعي والزراعة هي الغالبة في أفغانستان لذا كان تفضيل الذكور على الاناث واضحاً ، فالرجل هو المستقبل في الانتاج سواء في العمل الزراعي أم في الانتقال وراء الحيوانات ، وهو رجل الأسرة وحامي ذمارها ، مع أن التفضيل بعيد عن روح الدين الإسلامي ومخالف لنظرته في الحياة .

الأعياد : يحتفل الأفغانيون بعيد الأضحى وعيد الفطر ، وتؤدي صلاتهما في المصلى اتباعاً للسنة ويكون خارج حدود البناء ، وفي كل مدينة وقرية كبيرة تقريباً مصلى . ويكبر الناس أثناء ذهابهم إلى المصلى وإياهم منه بصوت مرتفع . وليس من عيد سوى هذين العيدين في الإسلام . ولكن جرت العادة بالاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف في المساجد ، ويحضر هذا الاحتفال رجال الدولة وكبار المسؤولين في المسجد الكبير في العاصمة كابل ، ويبدو أن

(١) السنة أن يختن المولود ، ويسمى ، ويحلق شعره ... وذلك في اليوم السابع من ولادته .

الاحتفال بهذا اليوم قد جاء مضاهاة للنصارى الذين يبالغون بالاحتفال بعيد ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام .

والعيد الوطني أيضاً هو يوم ٢٧ أيار من كل عام وهو ذكرى الاستقلال والانتصار على الجيوش البريطانية ، وليس لهذا اليوم وأمثاله أيضاً أية ميزة عن غيره من بقية أيام السنة في نظر الاسلام . كما يبتهج الناس بقدوم شهر رمضان المبارك وتقام الزينات في المساجد ، ولا يجرؤ أحد على أن يفطر في هذا الشهر أو يتهاون في أداء هذه الفريضة .

نظام الحكم : قبل الانقلاب الأخير الذي جعل البلاد جمهورية في ١٧ جمادى الثانية ١٣٩٣ هـ - ١٧ تموز ١٩٧٣ م كانت افغانستان دولة ملكية ديمقراطية يحكمها ملك بدستور وافق عليه الشعب بعد تعديله عام ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م . والسلطة التشريعية بيد مجلسين :

١ - مجلس شيوخ يعين ثلثه والباقي ينتخبه الشعب .

٢ - مجلس نواب منتخب من قبل الشعب .

والسلطة القضائية مستقلة .

أما السلطة التنفيذية فيرأسها رئيس مجلس الوزراء الذي يختاره الملك .

المُدُن

لا يوجد في أفغانستان مدن كبيرة تتجمع فيها أعداد ضخمة تصل إلى عدة ملايين وتستقطب أكثرية السكان لمركزها الصناعي أو لأهميتها التجارية بل انها لا تزال في أول عهدها ونموها وأشهرها :

كابل : بضم الباء ، وهي عاصمة البلاد ، ويزيد عدد سكانها اليوم على ٣٥٠ ألف نسمة ، ويجري فيها النهر الذي ينسب اليها (نهر كابل) فيزيدها جمالاً ، وهي قسمان : القسم الشرقي وهو المدينة القديمة حيث الطرقات الضيقة والأزقة المنعرجة والأسواق المسقوفة والخوانيت المتلاصقة . والقسم الغربي وهو المدينة الحديثة ، وفي وسطها العمود التذكاري المقام للتذكير بيوم الاستقلال والانتصار على الجيوش الانكليزية يوم ٢٨ أيار ١٩١٩ م / ١٣٣٨ هـ . وبالقرب منه شيد ضريح محمد نادر خان الذي اغتيل ١٣٥٢ هـ . وفي المدينة متحف كبير .

هراة : بفتح الهاء والنسبة لها هروي ، كحماة ، وتقع على مجرى نهر هاري ، ويقال له : هاري رد ، ولعل اسمها مشتق منه ، وهي في المنطقة الغربية حيث تنتشر السهول ، تؤول اليها مياه السفوح الغربية ومنحدرات جبال

هندكوش ، ويزيد عدد سكانها اليوم على ٢٠٠ ألف نسمة ،
وفيهما عدد من المساجد ، منها المسجد الجامع الأثري
الذي يعود بناؤه إلى القرن التاسع الهجري ، وكان يعد
آنذاك أهم جامع في آسيا الوسطى كلها . وكان التتار قد
خربوا هذه المدينة عام ٦١٨ هـ أثناء اجتياحهم للمنطقة
وانتقلهم نحو الغرب .

قندُهار : بضم القاف وسكون النون وضم الدال .
وتقع على مجرى أحد فروع نهر هلمند ، في الجنوب قريبة
من الحدود الباكستانية ، ويزيد عدد سكانها على ١٤٠ ألف
نسمة ، وفي المدينة جالية من الهنود يسكنون بأيديهم زمام
التجارة ، وفيها ضريح الشاه أحمد خان الذي أسس الأسرة
الدورانية التي حكمت البلاد من ١١٦٠ - ١٢٥٠ هـ / ١٧٤٧
- ١٨٣٥ م ، وعلى الضريح قبة مغطاة بصفائح الذهب ،
وتحيط بها المآذن المحلاة بالقيشاني .

مزار شريف : مدينة قديمة في الشمال ، مركز مقاطعة
بلخ ، وتشتهر بتجارة فراء الكراكول .

بلخ : مدينة تاريخية قديمة ، كانت عاصمة مملكة ايريا
القديمة ، وكانت تحمل اسم باكتريا ، وتقع إلى الغرب من
مزار شريف ، وعلى مسافة ١٠٠ كيلومتر منها تقريبا ،
وتعرف المقاطعة باسمها رغم أن حاضرتها هي مدينة
مزار شريف . وقد هدمها جنكيزخان ، وخرّب من

مسجدها نحو الثلث بسبب كنز ذكر له أنه تحت سارية
من سواريه . وتعرف بلخ اليوم باسم وزير آباد .

غزنة : مدينة تاريخية قديمة ، تقع جنوب غربي مدينة
كابل على بُعد ١٥٠ كيلومتر منها ، وهي على طريق
المواصلات بين كابل وقندهار ، وكانت مركز الدولة الغزنوية
التي تأسست ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م واستمرت حتى ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م
والتي من أشهر ملوكها محمود بن سبكتكين الغزنوي ، وفيها قبره .
ومن المدن التاريخية التي لم يبق لها ذكر :

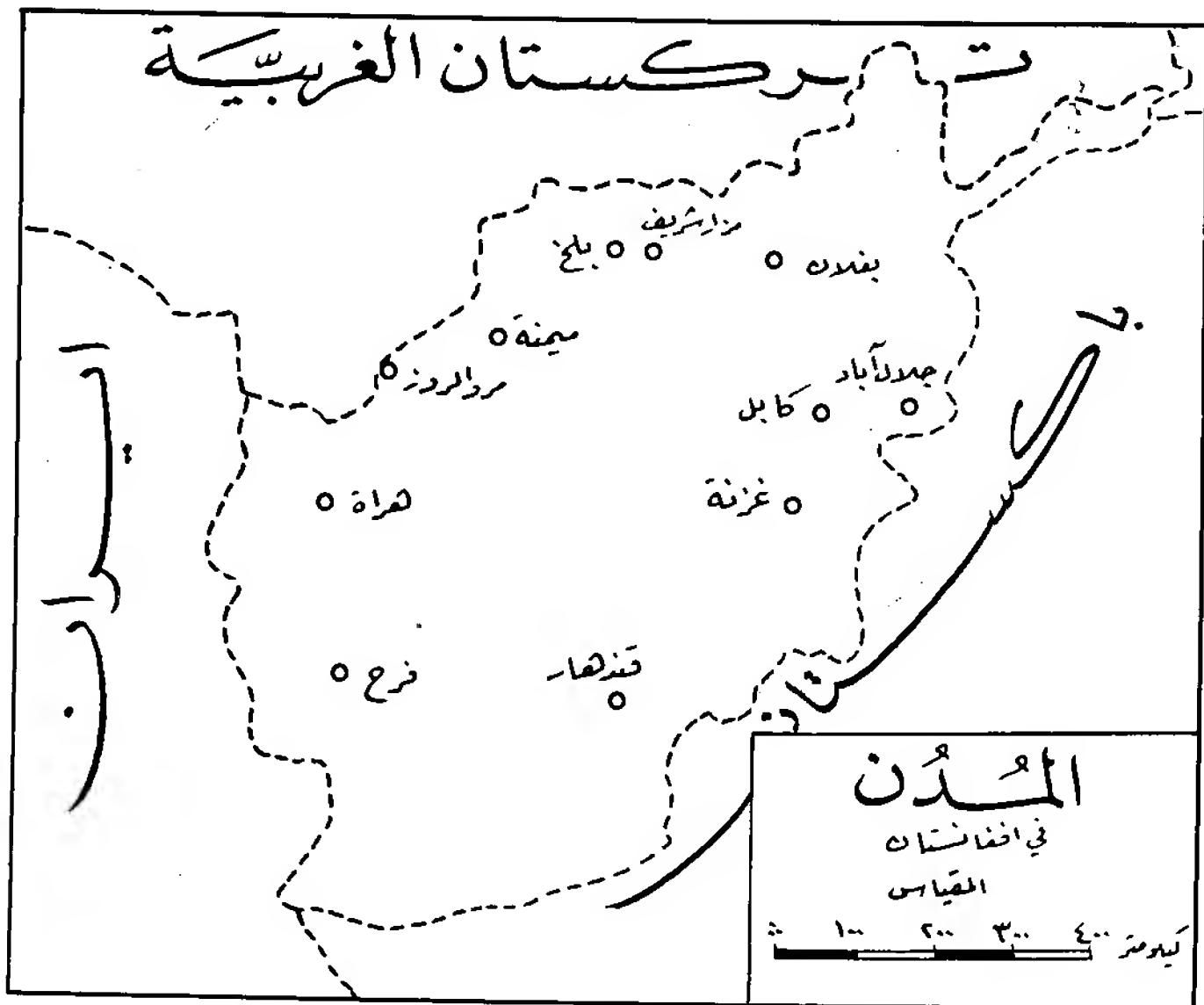
طالقان : بلدتان إحداهما بخراسان بين مروالروذ وبلخ ،
بينها وبين مروالروذ ثلاث مراحل ، وقال الاصطخري :
أكبر مدينة بطخارستان طالقان ، وهي مدينة في مستوى من
الأرض بينها وبين الجبل غلوة سهم ، ولها نهر كبير^(١) وبساتين .
ومقدار طالقان نحو ثلث بلخ ، ويقال لها طالقان مروالروذ .
والأخرى بلدة وكورة بين قزوين وأنهر وبها عدة قرى
يقع عليها هذا الاسم ، واليه ينسب الصاحب بن عباد ،
ويقال لها طالقان قزوين .

فارياب : بكسر الراء . مدينة مشهورة بخراسان من
أعمال جوزجان قرب بلخ غرب جيحون وتعرف اليوم

(١) يبدو أن هذا النهر أحد روافد نهر مورغاب الذي يمر بمدينة
مروالروذ ، ويأتيه من يمينه ، وبهذا يكون موقعها شرقاً مروالروذ
على الطريق الواصل إلى بلخ .

مقاطعة بهذا الاسم ومركزها مدينة ميمنة وهي ميمنة جوزجان .

جوزجان : اسم كورة واسعة من كور بلخ بخراسان بين مروالروذ وبلخ ، ومن مدنها فارياب ، وبها قتل يحيى ابن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عام ١٢٥ هـ ، وقد تم فتح جوزجان عام ٣٣ هـ . وتوجد اليوم مقاطعة تحمل هذا الاسم إلى الشرق من مقاطعة فارياب .



الحياة السياسية

كان نفوذ انكلترا أكبر نفوذ أجنبي في أفغانستان منذ أن ضعفت الحكومات الإسلامية حتى نالت البلاد استقلالها عام ١٣٤٠ هـ / ١٩٢١ م فانكلترا كانت على مقربة منها تسيطر على شبه القارة الهندية ، وأطباعها لا تحدد ، وتأمل في مد نفوذها إلى أفغانستان وجعلها ضمن مناطق سيطرتها وكان الضعفاء من الحكام يأخذون رأي حكومة الهند الانكليزية في أمورهم الخارجية كلها وشؤونهم الاقتصادية جميعها ، وقد يطلبون منها الدعم والعون ضد كل منافس يتوئب للحكم أو طامح يرغب في السيطرة ، أو قد تكون تلك المساعدة لذلك الزعيم المتحضر ليكون أطوع لها في مد نفوذها وتحقيق أطباعها ، وفي كلا الحالتين لا تتردد في إرسال التأييد المطلوب ، وإذا لم يوجد هذا أو ذاك واضطرتها مصالحها إلى التدخل فلا مانع عندها من إرسال الجيوش واحتلال بعض الأجزاء لتحقيق ما تريد تحقيقه ، أو لتقف في وجه الروس الذين يريدون أيضاً توسعة نفوذهم بعد أن شمل تركستان الغربية كافة وسيبيرية كلها ،

(١) أنظر كتاب (تركستان) من نفس السلسلة ص ٥٠ - ٥٢ .

أو يرغبون في ابتلاع ما أمكنهم بعد أن ضموا اليهم مناطق واسعة على حدود أفغانستان ، وكان نفوذهم في أفغانستان يأتي في المرتبة الثانية بعد النفوذ الانكليزي .

وعندما اعترفت انكلترا باستقلال أفغانستان بقي نفوذها أوسع من نفوذ غيرها لما لها من أنصار سابقين ولأن جلاء الجيوش ليس معناه زوال الاستعمار فان زوال التحكم العسكري مع بقاء الفكر الاستعماري لا يغير شيئاً في الأوضاع بل ربما كانت هي الحالة التي يريدها المستعمرون إذ لا تكلفهم جنداً ولا تحملهم عبئاً مع بقاء ما يريدون واستمرار كل ما يطمعون فيه وتنفيذ كل ما يتطلعون اليه ويأملونه ، ولأن روسيا التي كانت مؤهلة لمنافسة النفوذ الانكليزي كانت في شغل شاغل عن ذلك بما تعانيه من آثار الثورة الشيوعية التي قامت فيها ، والتي تسلمت مقاليد الأمور ، والتي أدى قيامها إلى انفصال عدد كبير من المناطق أو المقاطعات التي كانت قد أخضعتها القيصرية لسيطرتها ، وكانت تنتظر فرصة الخلاص أو تأمل بالانفصال والاستقلال حينما تجد ضعفاً في الحكم أو تلمس تهاوناً في القبضة الحديدية التي طوّقت بها ردها من الزمن ، وقد منى الشيوعيون أهل هذه المناطق ثم نقضوا العهد رغبة في بقاء استعمارهم واتساع دولتهم الجديدة ومد نفوذهم والحصول على خيرات هذه المناطق . فقاموا يحاربون أهل

هذه البقاع ويلزمونهم بالعودة إلى الخنوع وتقديم الطاعة والخضوع . هذا إضافة إلى ما نتج عن الثورة من تأخر اقتصادي ومشكلات اجتماعية وخلافات فكرية . وكانت أكثر هذه المناطق النائرة اسلامية ، وأكبر ما حدث من انتفاضات كان على حدود أفغانستان بسبب مجيء أنور باشا إلى المنطقة وقيادته الثورة ضد الاستعمار الروسي حتى استشهد عام ١٣٤١ هـ / ١٩٢٢ م .

لقد استقر الوضع في روسية للشيوعيين وكذا في المناطق التي تبسط نفوذها عليها ، وبدأت المحاولات لتوسعة النطاق الشيوعي خدمة لمصالح الروس أولاً ومنافسة لأعداء الشيوعية السياسيين ثانياً ، فأسس الحزب الديموقراطي في أفغانستان عام ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م إلا أن نفوذه بقي محصوراً في الجماعة المستفيدة منه مباشرة بما تقدمه الشيوعية لها ، ولأن الأفغانيين كانوا على علم بما يلاقي المسلمون وراء حدود الأفغان من عذاب واضطهاد وذل وتشريد وانتهاك لحرمتهم وأعراضهم وتدمير لمقدساتهم هذا إضافة إلى أن قسماً منهم ينتمي إلى تلك القبائل نفسها التي تتعرض لتلك المصائب ، وإذا كنا لا ننكر دعاية خصوم الشيوعية وإهمية إعلام أعدائها إلا أننا نقول إنهم كانوا يستفيدون من الوقائع التي تحدث فعلاً لتأمين أغراضهم السياسية وتحقيق أطماعهم التوسعية ، ولكنها تبقى حقيقة واقعة وإن استفاد منها

الخصم وروّجها العدو ، ونحن لا نتكلم عنها على أنها من دعايات المستعمر كما يشيع ذلك أنصار الدخيل الآخر وإنما لأنها حقيقة واقعة وهي تمسنا في الصميم .

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية ١٣٥٩ هـ / ١٩٣٩ م كان الروس والانكليز على وفاق لم تحدث منافسة بين الاستعمارين على أرض أفغانستان إضافة إلى ظروف الحرب الخاصة التي توجه الأنظار إلى ساحات القتال وتلقي بالفكر إلى حل المشكلات القائمة ، وانتهت الحرب ، وكانت المنافسة بين المعسكرين على أشدها ، ولكن الدعاية الروسية كانت ضعيفة جداً آنذاك في أفغانستان بسبب ما فعله الروس في سكان القرم المسلمين وبلاد قفقاسيا المسلمة ، وما لقيه المسلمون على أيدي العصابات الشيوعية في كل مكان مع ملاحظة اتفاق الشيوعيين مع الرأسماليين وتفضيل المصلحة على المبدأ والفكر ، وإذا كانت أجهزة الأعلام ضعيفة وقتذاك إلا أن الحدود كانت قريبة وأن الانكليز كانوا على مقدرة في ترويج الإشاعات ضد الروس لمصلحة الانكليز وإن كانت حقاً يراد باشاعته باطل . وخرج المسلمون بفائدة كبيرة من الحرب وهي أن الخلاف بين الشيوعية والرأسمالية إنما هو خلاف سياسي وظاهري ، ويمكن أن يحدث اتفاق في كل وقت بين الطرفين ، وإن المصلحة هي التي تحدد هذا الاتفاق ، وأن هناك مصالح مشتركة بين الفريقين .

ومنذ أن آل الوضع في روسيا إلى خروتشوف بدأ نوع من التعاون الودي بين الدولتين روسيا وأفغانستان كانطلاقة لمد النفوذ الشيوعي أو خطوة أولى لإزالة ما لحق بالدعاية الروسية هناك ، فقد لاحظ خروتشوف أهمية موقع أفغانستان وغناها بالثروات المعدنية إضافة إلى غناها بالفواكه التي لا تلتجها روسيا والمناطق الخاضعة لها. وهي أقرب إلى الجنوب حيث تريد روسيا أن تمد نفوذها لتحصل على منتجات البلاد الحارة التي لا توجد فيها والتي هي بحاجة ماسة إليها . وهي على حدود شبه القارة الهندية منطقة النزاع والخلاف بين هند وباكستان وروسيا تريد أن تحشر نفسها وتتدخل في الخلافات التي هي البيئة الطبيعية لنمو الشيوعية والمكان الخصب بالنسبة لها حيث تقوي جانباً على آخر وتمده ، وتؤيد فريقاً وتساعد له لتكسب أنصاراً وبالتالي تحقق نفوذاً ثم تجر المنطقة لفكرتها ليسهل ابتلاعها أو على الأقل لتسير في فلكها .

ثم كان التعاون بين الدولتين الشيوعيتين الكبيرتين روسيا والصين لمد النفوذ الشيوعي إلى أفغانستان يوم كان التفاهم بينهما قائماً ، ويوم كانت الفكرة الشيوعية لا تزال واحدة ، فقدمت المساعدات من كلا الطرفين لأفغانستان حيث مهدت الطرق وسويت الدروب ومدت المواصلات من هذه المعونات وذلك لمصالح عسكرية للشيوعيين . كما أن رئيس وزراء الأفغان آنذاك محمد داود كان يظهر تعاطفاً مع الروس .

وإذا كانت الدولة الأفغانية قد حرصت حرصاً أكيداً على اتخاذ موقف الحياد حيث تتلقى المساعدات من الأطراف كلها إلا أن المساعدات الروسية كانت أكبر ونفوذ الشيوعية كان أوسع ، ففي الخطة الخمسية ١٩٦٢ - ١٩٦٧ م . تلقت أفغانستان من روسيا ٦٣٢ مليون دولاراً وهو يشكل ٦٥٪ من مجموع المساعدات التي تدفقت على البلاد ، بينما شكلت المعونة الأميركية ٢٣٪ فقط من تلك المساعدات . وفي الوقت نفسه فقد وقعت مع الصين عام ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م اتفاقية مدتها ١٠ أعوام نالت بموجبها ٢٨٠ مليون دولاراً ، وترتبط مع الهند بمعاهدة صداقة وكذلك مع بريطانيا وغيرها من الدول .

واستمرت المساعدات الروسية تتدفق على أفغانستان ، فأنشأ الروس مطار كابل ، وسلحوا القوات الأفغانية وخاصة القوات الجوية ، وقدموا المساعدات الفنية والمادية لمشروعات الرعي وكان مجموع ما قدمه الروس في الآونة الأخيرة ٧٥٠ مليوناً من الدولارات لتحسين طرق المواصلات لاستفيد منها وقت الضرورة وأثناء التحركات العسكرية . وقد بدأت أهمية بلاد الأفغان تتألق في نظر الروس بعد أحداث باكستان الأخيرة وبعد الخلاف الشيوعي بين الصينيين والروس . وكان النفوذ الروسي يتوسع فعلاً في أفغانستان نتيجة تلك المساعدات السخية .

إن النفوذ الشيوعي لم يكن ليمر دون أن تبالي به

الولايات المتحدة منافسة روسيا الأولى فمدت أصابعها في هذه المنطقة ، وأرادت أن تنشب نخبها من خلف المؤسسات التبشيرية ليكون لنفوذها أهمية كبيرة ، إلا أن أفغانستان لم تكن لتسمح بدخول الأرساليات التبشيرية ليكون لنفوذها أهمية كبيرة في بلادها حيث يشكل المسلمون أكثر من ٩٩٪ من مجموع السكان ، لذا لجأت الولايات المتحدة إلى طريقة أخرى . فدخلت البلاد مؤسسة أميركية باسم « الانسانية » لرعاية المكفوفين ، وأقيم البناء اللازم لذلك ، وابتدأ العمل في التعليم والرعاية ، ولكن لم يلبث أن ظهر بناء تبين أنه كنيسة بجانب عمارة معهد الرعاية ، فما كان من الدولة إلا أن طلبت هدمه - تحت تأثير الشعب - وتم ذلك . وهكذا فشلت المنافسة الأميركية من هذه الطريق إلى جانب دعاية الروس وعملائهم الشيوعيين ضد الولايات المتحدة . وبعد إلغاء الكنيسة توقفت المساعدات التي وعدت بها أفغانستان لشؤون الصحة والتعليم ، وكان لهذا دوره في تفاقم الدعاية الشيوعية أيضاً .

ثم حدث التفاهم بين روسيا والولايات المتحدة على أكثر قضايا العالم ولم يعد خوف من الصدام بينهما ، وزالت كل الغيوم التي كانت متلبدة في الجو الذي صفا للروس تماماً . لم تكن هذه المنافسة بين روسيا والولايات المتحدة لتقوم على أرض الأفغان المسلمة والسكان ينظرون اليها من بعيد على انها لا تهمهم و كأنها تحدث على أرض غير أرضهم أو أن هذه البقعة قد اصبحت لهؤلاء المستعمرين يتنازعون

عليها ، ولكن الجهل كان ينخر في الأفغانيين والتواكل
يقعدهم ، وتسيطر عليهم الغفلة أو البراءة ، ويطغى عليهم
عدم الحيوية والرضا بالأمر الواقع وعدم الخوض في مشكلات
البلاد السياسية والاقتصادية إضافة إلى الفقر الذي يجعلهم
يسعون وراء لقمة العيش وبالتالي لا يعرفون شيئاً أو
يركضون وراء مصالحهم المادية ومنافعهم الشخصية ، وتدور
المنافسة بين أنصار قليلين من كلا الفئتين المتنازعتين سياسياً
ويستفيد هؤلاء العملاء فوائد كبيرة وفي مقابلها يركضون .
إلا أن المسلمين الواعين والعلماء الحقيقيين لا يمكنهم السكوت
إلى النهاية ، فهم يعرفون الإسلام كما أنزله الله وكما يريد
رسوله ﷺ ، ويعلمون النشاط الحركي الذي سار عليه
صحابه رسول الله رضوان الله عليهم والدعاة المصلحون في
كل حقبة . فتعاون الشباب المسلم الذين شكّلوا أول نواة
إسلامية حركية عام ١٣٧٨ هـ / ١٩٦٧ م مع العلماء أمثال
محمد يونس خالص وعبد الرزاق بارس والملا بن وزير
وخدايا نورا ، وكان هذا التعاون من أجل التخطيط لجعل
الدين الإسلامي أساساً للتربية والتعليم ومكافحة العملاء
الأميركيين والخلايا الشيوعية التي بثها الحزب الشيوعي
الديمقراطي ، كما كان هؤلاء دور في فضح الروس في الحرب
الباكستانية الهندية وبالتالي كشف دور الخبراء الروس الذين
يعملون في مشروعات الري في أفغانستان في نقل السلاح
وتهريبه عبر أراضي أفغانستان كما كان التعاون مع (منهاج

الدين جـاهز) مدير تحرير جريدة الفجر الاسبوعية التي تصدر في كابل .

كانت هذه النواة ذات جهود وإمكانات يسيرة فقد كانوا يكتبون أفكارهم على أوراق بسيطة وينسخونها بأيديهم ثم يقومون بتوزيعها سرّاً - وشتان بين هذه الامكانيات وامكانيات العملاء الذين تدعمهم دول كبرى وتضطر الحكومة أن تسكت عنهم نتيجة الضغط السياسي - ، ولكن للحق أنصاره في كل وقت ، فقويت هذه الجماعة بسرعة ، واضطرت للاصطدام مع الشيوعيين أو جُرّت إلى ذلك جرّاً لإمكانية ضربها قبل أن يقوى ساعدها ، ولكن لقيت نجاحاً وحقت انتصاراً عليهم مما شجع أنصارها فزادوا نشاطهم فأخاف ذلك الشيوعيين ، فتسلحوا وجمعوا كيدهم ، وأتوا صفّاً واحداً يوم ٣٠ حزيران ١٩٧٠ م / ١٣٩٠ هـ للقضاء على هذه الجماعة ، ولكن الشعب تعاطف مع المسلمين فاذا بـ ١٧٠ رجلاً من الشيوعيين جرحى في الميدان ، وقد انسحبوا وراءهم ذيول الخيبة والإخفاق . وجاء رفاق الأمس خصوم اليوم الشيوعيون الصينيون يساعدون إخوانهم في العقيدة ، وليظهروا قوتهم ويتسلحوا الشارع ، ولكنهم لم يحصلوا إلا على النتيجة نفسها التي حصل عليها عملاء موسكو ، وخاب أملهم ، وأخفقت تجربتهم . وقام الانقلاب الأخير ولا يزال الجرحى الشيوعيون من كلا الطرفين في المشافي .

وفي عام ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م جرت انتخابات مجلس طلبة الجامعة في كابل فحصل المسلمون على ٤٤ مقعداً من أصل ٥٤ مقعداً مما زاد في نقمة أعداء الاسلام عامة من شيوعيين ورأسماليين ومتفرنجين يدعون التقدمية ويزعمون حمل لواء المدنية ، كل هذا جعل المسلمين يوحّدون جهودهم ، ويجمعون قوتهم ، ويدعمون صفوفهم . وكان تجمعهم في جمعيات أشهرها :

١ - تجمع الشباب المسلم في جامعة كابل .

٢ - جمعية العلماء المحمدية .

٣ - جمعية خدام الفرقان .

شعر الشيوعيون بالخطر الذي يتهددهم من جراء قوة الحركة الاسلامية المتزايدة فبدأ التخطيط للقضاء على الحكومة رغم انها كانت تساندهم وتقف بجانبهم وتحمي مظاهراتهم وتشدد الرقابة على المسلمين وتمنع أية تظاهرة لهم . فقد سكّنت سكوت الأموات عن اغتيال مدير تحرير جريدة الفجر (منهاج الدين جاهز) وابنه الذي لم يتجاوز الثانية عشرة يوم ٨ آب ١٩٧٢ م / ١٣٩٢ هـ رغم أن الاتهام قد وُجه إلى الشيوعيين مباشرة وبالتعاون مع السفير الروسي الذي غادر البلاد مع الملاحق العسكري فجأة مساء حادث الاغتيال ، وطويت القضية ، وكأن لم تكن حادثة اجرام بشعة .

إذا كان النظام الملكي السابق قد عرف بالوقوف في

وجه الحركة الاسلامية أو بمحاولة ضربها بواسطة الشيوعيين - ويوم قام الانقلاب الأخير كان عدد من شباب الحركة الاسلامية داخل المعتقلات - إلا أن الحكم الذي أعقبه قد جاء مسفراً عن وجهه بمناوأة الاتجاه الديني عامة .

فقد علم الشيوعيون أن الحكم أفضل طريقة لضرب الحركة الاسلامية لأن الحكم المدني رغم وقوفه بجانبهم إلا أنه يبقى ضعيفاً . وعرفوا أن الاسلام هو الحائل الرئيسي دون امتداد النفوذ الشيوعي أو الرأسمالي على حد سواء لذا يجب القضاء على حملته خوفاً من أن يكون التغيير على أيديهم وحرصاً على كسب السبق يجب الاسراع في التنفيذ . وجاءت الأمور السياسية مناسبة لهم بل وفي مصلحتهم .

فالتفاهم بين موسكو وواشنطن أزال كل خوف من الصدام بينهما كما أنه القى على الشيوعيين الروس مهمة القضاء على الحركة الاسلامية هذا من جانب ، ومن جانب آخر فالحرب الباكستانية الهندية كان من ذيولها ضرورة تغيير الوضع في أفغانستان كي يتسنى تسديد ضربة ثانية لباكستان على يد حكام جدد في أفغانستان يطالبون بالنظر من جديد في الحدود بين الدولتين بحيث تأخذ أفغانستان المناطق التي تعيش فيها قبائل الباتان والبالوخ التي توجد في البلدين .

إن للاسلام نظامه الخاص في الاجتماع والسياسة

والاقتصاد ، وهو يخالف سائر الأنظمة الأخرى التي وضعتها البشرية وصاغتها أقلام أصحاب المصالح والأهواء من شيوعيين ورأسماليين فهو عدو لهم جميعاً بل إن عداؤه أكبر بكثير من ذلك العدااء الظاهري المصطنع بينهما . إذ يمكن للمصالح أن تجمع بينهما ما دامت كلتاها فوق ما سواها وتأخذ الثانية بفكرة الحرية الفردية دون حدود أو قيود وترفع حرية الفرد فوق كل ما عداها .

لقد كان للاسلام مركزان رئيسيان أحدهما في مصر والثاني في باكستان ، والاتفاق الضمني قائم بين المعسكرين العالميين للقضاء على هذين المركزين فإذا ما تم القضاء على مركز على أيدي أحد المعسكرين صفق الآخر مبهتجاً .

لقد ضعف المركز الأول ، بل تقلص وضمربعد انقلاب ١٩٥٢ م الذي كان مخططاً له القضاء على الحركة الاسلامية والذي تم فعلاً عام ١٩٥٤ م ثم ١٩٦٥ م بمعرفة كلا المعسكرين ، وقد أصبح الأزهر أيضاً جامعة كغيرها ، ويمكن لمشايخه أن يصدروا أية فتوى يريدونها الحاكم الذي اختارهم وبالشكل الذي يراه .

وتوحدت الجهود أيضاً للقضاء على المركز الثاني فشاركتم روسيا مباشرة ولعبت الولايات المتحدة دورها وكان لانكترا واسرائيل والصين أدواراً متشابهة لعبتها بشكل إيجابي أو

سلي ، وكان الممثل الرئيسي للهند^(١) ، وانقسمت باكستان إثر الحرب التي خاضتها مع الهند وبدعم الروس المباشر إلى قسمين شرقي حمل اسم بنغلاديش وغربي احتفظ باسم باكستان . وإن خرجت باكستان كليلة مهزومة إلا أنها احتفظت ببعض مركزها ولم يطب العيش لأعداء الاسلام فلا بد من طعنة أخرى تلقىها لا حراك لها ، ولكن هذه المرحلة تتعلق بأفغانستان إذ هناك قبائل تعيش في أرض الدولتين فيمكن اتخاذ ذلك سبباً لتسديد ضربة ثانية لباكستان .

إن أفضل حكم للسير بأفغانستان في هذا الطريق هو الحكم العسكري الذي ينفذ دون مناقشة ويتصرف دون موافقة مجلس ، ويبرم بالأمر دون النظر إلى دستور ، وكرست الجهود لتسليط الأضواء على شخصية السردار محمد داود ، فهو أحد أفراد الأسرة المالكة وابن عم الملك محمد ظاهر شاه وزوج شقيقته ولهذا أهميته بالنسبة إلى الأشخاص الذين ربطوا مصالحهم مع تلك الأسرة . ثم هو من الذين يقفون موقفاً مناوئاً للاتجاه الديني الذي يريدون القضاء عليه . كما أنه من الذين عرفوا بتعاطفهم مع الروس ، ومن الذين لهم علم بقضايا السياسة والحكم فقد ظل يدير شؤونها مدة عشر سنوات متواصلة . وأكثر من هذا كله فقد كان اثناء حكمه غير متفاهم مع باكستان في قضايا الحدود والقبائل التي تقيم في تلك المواطن ، وهذا هو بيت

(١) أنظر كتاب (باكستان) من هذه السلسلة ص ٩٧ وما بعدها .

القصيد . وبين الهند وأفغانستان معاهدة صداقة قديمة ونوع من الود ، وبهذا يتصل محور موسكو - دهلبي بالحكم الأفغاني المرتقب . أعلن صباح الثلاثاء ١٧ جمادى الآخرة ١٣٩٣ هـ الموافق ١٧ تموز ١٩٧٣ م عن القيام بانقلاب في أفغانستان بزعمامة السردار محمد داود ، وقد نجح رغم انه لقي مقاومة عنيفة من أنصار الملك عند حصار القصر الملكي . وأوضح قائد الانقلاب سياسته في بيانه الأول فقال : « إن أفغانستان تقف موقف عدم الانحياز وإنها لن تدخل أي حلف عسكري ، وإنها تحرص على العلاقات الطيبة التي تربطها مع دول العالم ، أما فيما يتعلق بباكستان فإن نزاعاً سياسياً يقوم بيننا وبين ذلك البلد ، وهو البلد الوحيد الذي لم ننجح في حل مشكلة معه » . ومن هذا تظهر الدوافع الحقيقية التي تكمن وراء الانقلاب ، وخاصة إذا علمنا أن مظاهرات كانت تقوم في بلوخستان الاقليم الباكستاني المجاور لأفغانستان مطالبة بالحكم الذاتي في تلك المنطقة التي تقطنها قبائل يعيش بعضها في أفغانستان . ولكن هناك دوافع أخرى للانقلاب أو على الأقل جعلت واجهة لأهميتها وهي المساوىء والرشاوى التي تنفشي في جهاز الدولة ، وهذا ما أعلنه قائد الانقلاب في بيانه الأول ، بل هو ما يعلنه كل متسلم جديد للسلطة قفز اليها قفزاً ، وقد أعلن عن تقديم موسى شفيق رئيس وزراء الأفغان السابق للمحاكمة بدعوى انه قبض مبالغ طائلة من دولة إيران كرشوة . كانت إذاعة الهند أول محطة نقلت نبأ الانقلاب ، وأعلنت الاعتراف بالوضع الجديد ، وتلتها روسيا حيث أذاعت الخبر

بعد الهند وبعد أربع ساعات فقط من وقوعه ، وأعقبته بالاعتراف بالحكم الناجم عن الانقلاب ، رغم انها تتمهل عادة بالاعتراف بمثل هذه الأوضاع التي تنجم عن الانقلابات ، وكانت سياستها تسير بشكل متوازٍ مع سياسة الهند .

إن أهمية أفغانستان بالنسبة إلى الهند كبيرة فهي إضافة إلى أنها ضالعة في تفتيت باكستان ، وعن طريق أفغانستان يمكن أن يتم هذا التفتيت لوضع القبائل الذي تكلمنا عليه في الدولتين المتجاورتين كما أنها ذات أهمية أيضاً بالنسبة إلى كشمير وجامو منطقة النزاع الباكستاني - الهندي القائمة والدائمة التي يصعب حلها لموقف الهند العنيد .

ويبدو أن هذا الانقلاب قد كان مرحلة أولى يتم خلالها الضغط على الحركة الإسلامية التي بدأت تشق طريقها نحو القوة ، والتمكين للفئات المعادية للإسلام والتي تلقى دعماً من الروس ، ومضت خمس سنوات على هذا الانقلاب تم فيها تحقيق المخطط ، واستنفد محمد داود أغراضه ، وعندها وجد نفسه وجهاً لوجه أمام حركة جديدة أطاحت به وبحكمه ، وتسلم الضباط الصغار الحكم ، وبدؤوا يسيرون نحو السياسة الروسية، وقد غمروا البلاد بالخبراء الأجانب ، واتبعوا سياسة الفقر والظلم لإخافة الشعب وألقوا من بقي من قادة المسلمين بغياهب السجون بعد أن قتلوا أكثرهم ، وكان الحكم السابق قد قام بالمهمة نفسها ... ونتيجة الظلم لم تعد النفوس مزيداً منه فقامت حركة إسلامية من صفوف الشعب والقادة الذين سبق لهم أن فروا من البلاد، ولقيت دعماً من جاراتها باكستان وإيران الذي قويت فيهما الحركة الإسلامية ، ولا تزال الثورة قائمة في أفغانستان ويبدو من خلال الأحداث أن الأمل كبير في نجاحها .

الحياة الاقتصادية

الزراعة : تعدّ أفغانستان بلداً زراعياً ، ويعمل في مهنة الزراعة أكثر من ٨٠ ٪ من السكان رغم أن الأرض الزراعية لا تزيد على ١٩ ٪ من مساحة البلاد العامة . وتقع ثلاثة أرباع الأراضي الزراعية شمالي جبال هندكوش في حوض نهر جيحون . وأهم الزراعات :

القمح : ويشغل $\frac{1}{4}$ الأرض المزروعة ، ويجود في وادي كابل وغزنة وقندهار ومزار شريف وميمنة وهراة .
الذرة : وتقدر المساحة المزروعة ذرة بـ ٣٥٠,٠٠٠ هكتاراً .
الشعير : ويزرع على مساحة تقدر بالمساحة المزروعة ذرة ، وإن كانت مناطقه أقل خصوبة وأكثر ارتفاعاً .

الأرز : وتقدر الأرض المزروعة بـ ١٨٠,٠٠٠ هكتاراً .
هذا إضافة إلى أنواع البقول من العدس والفول وغيرها ...
القطن : وهو من النوع طويل التيلة إضافة إلى أنواع متوسطة التيلة وقد نجحت زراعة الأقطان المصرية والأمريكية .
قصب السكر : ويزرع في عدة مناطق من البلاد .
الشوندر السكري : وقد اهتمت الحكومة بزراعته وأعطته أولوية الاهتمام مع القطن ، ويمتاز الشوندر الأفغاني بنسبة كبيرة من المواد السكرية .

الزيتون : ويوجد في مناطق قليلة ، وأشهرها منطقة باكتيا جنوب منطقة كابل .

العنب : ويوجد أكثر من سبعين نوعاً من العنب في أفغانستان .

وتوجد أنواع كثيرة من الفاكهة أهمها المشمش والتفاح والخوخ والاباص والكرز والتين والرمان . ويعتمد ^٢/_٣ الأرض الزراعية على الرّي بينما الباقي يعتمد على المطر .

كما يوجد الجوز والفسق بالشكل الطبيعي .

تربية الحيوانات : تغطي المراعي ٥ ٪ من مساحة البلاد العامة ، وتربي الحيوانات بكثرة وفي طبيعتها الخيول التي يعتني بها في المقاطعات الشمالية ، وخاصة بلخ وبغلان ، ثم تأتي الأغنام الجيدة والتي يؤخذ منها الصوف الجيد وهي الكرا كول إضافة إلى الأغنام العادية والتي يسمونها عربية .

وتربي دودة القز في مقاطعات بغلان وبلخ وهراة بشكل خاص . وقد استوردت الحكومة أنواعاً من اليابان لتحسين الأنواع الأفغانية ، وتزخر وديان الأفغان بخلايا النحل .

وتوجد الأسماك في بعض الأنهار والبحيرات ولكن على نطاق ضيق ، ولا تدخل في غذاء السكان بشكل أساسي .

ويمكن معرفة أهم الحاصلات الزراعية من الجدول التالي :

القمح	وتنتج منه سنوياً	٢,٢٨٠,٠٠٠	طنناً
الذرة	»	٧٠٠,٠٠٠	»
الشعير	»	٤٠٠,٠٠٠	»
الأرز	»	٣٢٠,٠٠٠	»
القطن الخام	»	٩٥,٠٠٠	»
قصب السكر	»	٤٥,٠٠٠	»
الشوندر السكري	»	٤٤,٠٠٠	»
حبوب زيتية	»	٥٠,٠٠٠	»

»	٣١٠,٠٠٠	فواكه
»	٥٠٠,٠٠٠	خضار
وأهم الحيوانات التي تربي في أفغانستان :		
رأساً	١٦,٠٠٠,٠٠٠	أغنام عربية
»	٥,٠٠٠,٠٠٠	أغنام كرا كول
»	٢,٠٠٠,٠٠٠	ماعز
»	١,٥٠٠,٠٠٠	حمير
»	٣٥٠,٠٠٠	جمال
»	٢٨٥,٠٠٠	خيول
»	٢٠,٠٠٠	بغال

الثروة المعدنية : تكثر المعادن في أفغانستان وأهمها :

الذهب : ويوجد قرب قندهار وفي باداخشان .

الفضة : في وادي بانجشير .

الكبريت : في هزاراجات .

الملح : في قاتجان .

الفيروز : في قندهار وجاجيديلك .

اللازورد : في شمالي أفغانستان ، وهو من أحسن الأنواع في العالم .

وتزخر مرتفعات هندكوش بالرصاص والمنغنيز والقصدير والنحاس . كما يوجد الفحم والمرمر في عدة مناطق . وتقدر كمية الفحم المستخرجة بـ ٦ آلاف طن . ويجري التنقيب عن النفط ، وقد عثر على كميات منه ، كما أدى الحفر إلى اكتشاف الغاز الطبيعي .

الصناعة : لا تزال البلاد في أول مراحلها الصناعية وأهم ما يصنع في البلاد المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية ، إضافة إلى صناعة السجاد . وهناك محالج القطن ، ومصانع للسكر وأخرى للصابون ، والزيوت النباتية والدباغة . ووجدت معامل للاسمنت والزجاج والقرميد والكبريت وحفظ الفواكه ، وينتظر أن تستمر البلاد في تقدمها الصناعي .

المواصلات : تشكل طبيعة البلاد الجبلية عقبة في وجهه المواصلات التي تعدّ متأخرة إذ لا يوجد أية سكة حديدية داخل أفغانستان مع العلم أن الخطوط الحديدية تصل إلى الحدود سواء في الجنوب في باكستان أم في الشمال في البلاد التركمانية التي تخضع للسيطرة الروسية . كما أن الطرق البرية المعبدة لا تزال قليلة ولا تزال تستعمل الحيوانات من بغال وحمير وجمال وخيول في المواصلات ، وتعدّ هي أداة النقل الأولى .

وتوجد شركة أريانا للنقل الجوي ويوجد مطاران دوليان أحدهما في كابل والآخر في قندهار ، إضافة إلى ثمانية مطارات محلية في الشمال والغرب والجنوب الغربي في المناطق المستوية التي تحيط بالمرتفعات أهمها في مزار شريف وميمنة وهراة وفرح كما وجد مطاران في المرتفعات وسط جبال هندكوش .

ومعظم النقل يتم عن طريق باكستان في الجنوب أو عن طريق تركستان في الشمال . إضافة إلى الطرق البرية التي تصلها مع إيران ، والشعاب الجبلية مع كشمير والتبت في الصين . تصدر أفغانستان جلود الكرا كول بالدرجة الأولى وتشكل

ما يقرب من ثلث قيمة الصادرات ثم هناك الفواكة المجففة
والطازجة والسجاد والبسط والفستق والجوز .
وتستورد الأقمشة والشاي والسكر والنفط والآلات
والسيارات والأدوات الكهربائية . وتكاد قيمة الصادرات تزيد
قليلاً عن نصف قيمة الواردات .

خاتمة

هذه لمحة مختصرة عن أفغانستان - البلد المسلم - يلمح فيها القارىء غنى هذه الدولة ، ولكن هذا الغنى لم يظهر بعد ، فلا يزال بعد إما في جوف الارض على شكل ثروات معدنية دفيئة وإما محجوزاً خلف المشروعات الكثيرة التي تحتاج اليها البلاد . ومن المفروض أن يمد أفغانستان بالمال شقيقاتها المسلمات إضافة إلى الخبرة اللازمة لإنجاز هذه المشروعات بدلاً من أن تتجه نحو هذا المعسكر أو ذاك ، نحو تلك الدول المتصارعة التي تهدف كل منها إلى سبق الأخرى وبسط نفوذها على ما استطاعت عليه من هذه الأرض باسم نشر الحضارة والتوسع والمادي . ومن المعلوم أن أفغانستان كان موقفها دائماً بجانب قضايا المسلمين في كل بقعة من بقاع الأرض ، فهي جديرة أن تقدم لها كافة المساعدات .

وقد كانت هذه البلاد دهرأ مسرحاً للحضارة الاسلامية ثم انحسرت عنها الحضارة وأصابها ما أصابها من الر كود- وللحضارة إقبال وإدبار - . وهي اليوم مقبلة على تقدم متأثرة بالغرب ، وحبذا العمل للعودة بها إلى الحضارة الحقيقية التي ينشد لها أهل الاسلام والتي تجمع بين الحق والخير والقوة والعلم والفضيلة والكمال وذلك قبل طغيان تقدمية الغرب المادية التي ذاق العالم منها الويلات رغم ما فيها من علم ومظاهر جديدة إذ يسعى أهلها لاستعباد الناس وأخذ خيرات بلادهم وثرواتها وجرمهم وراءهم يهيمون على وجوههم في سبيل الحصول على الشهوة أو المال أو المنصب والسلطان . ولن يكون هذا العمل إلا من رجال مخلصين مؤمنين يريدون الخير لأمتهم ويخشون الله في أعمالهم ويبتغون رضوانه .

الفهرس

٥	...	...	...	...	المقدمة
١٦	...	...	...	...	أفغانستان
٢٢	...	...	...	...	المناخ
٢٣	...	...	...	...	المياه
٣٣	...	...	...	...	الحياة البشرية
٨١	...	...	...	...	المدن
٨٥	...	...	...	...	الحياة السياسية
٩٩	...	...	...	...	الحياة الاقتصادية
١٠٤	...	...	...	...	الخاتمة

مواطن الشعوب الإسلامية

صدر منها :

ب - في آسيا

أ - في افريقيا

- | | |
|---------------------------|---------------------|
| ١ - تركستان الغربية | ١ - غينيا |
| ٢ - تركستان الشرقية | ٢ - نيجيريا |
| ٣ - قفقاسيا | ٣ - الصومال |
| ٤ - باكستان | ٤ - موريتانيا |
| ٥ - اندونيسيا | ٥ - اريتريا والحبشة |
| ٦ - اتحاد ماليزيا | ٦ - تشاد |
| ٧ - فطاني | ٧ - تنزانيا |
| ٨ - المسلمون في قبرص | ٨ - السنغال |
| ٩ - المسلمون في الفيليبين | ٩ - اوغندا |
| ١٠ - جزر المالديف | ١٠ - ليبيا |
| ١١ - افغانستان | ١١ - السودان |